روايات مصرية للجيب

16

فانتازيا

شبح وشيطان ..!

Looloo



مقدمة

اسمها (عبير عبد الرحمن)

إنها لا تملك شيئًا من رقة اسمها ، ورشاقة اسمها ..

إن (عبير) ليست جميلة بأىّ مقياس ، ولا تجيد القتال أو قيادة السيارات ، وليست عالمة أو أديبة ممثلة ، ولا تملك مؤهلاً دراسيًّا محترمًا ..

إن (عبير) هى إنسانة عادية إلى درجة غير مسبوقة .. إلى درجة تجعلها فريدة من نوعها .. وتجعلها جديرة بأن تكون بطلة السلسلة ..

لقد قابلت (عبير) (شريف) .. خبير الكمبيوتر الثرى الوسيم - والأهم من هذا - العبقرى .. وكان (شريف) وقتها يبحث عن فتاة عادية جدًّا ولا تملك أىّ ذكاء .. هذه الفتاة ستخضع لاختبار جهاز (صانع الأحلام) الذى ابتكره ، وهو جهاز قادر على استرجاع ثقافة المرء ، وإعادة برمجتها فى صورة مغامرات متكاملة ..

ولأن (عبير) تقرأ كثيرًا جدًّا .. ولأن عقلها مزدحم

بأبطال القصص ومواقف القصص ؛ صار عقلها خامة صالحة لخلق مئات القصص المثيرة ..

(عبير) سترى القصص التى عشقتها .. ولكن مع تحوير بسيط : إنها ستكون جزءًا متفاعلاً فى كل قصة ! ستطير مع (سوبر مان) وتتسلق الأشجار مع (طرزان) .. وتغوص فى أعماق المحيط مع كابتن (نيمو) ..

وتزوج (شريف) (عبير) .. ربما لأنه أحبها حقًّا .. وربما لأنه كان بحاجة إلى إبقاء فأر تجاربه معه للأبد .. ونعرف أن (عبير) حامل ..

وتواصل (عبير) رحلاتها الشائقة إلى (فانتازيا) .. ترى الكثير وتعرف الكثير .. وفى كل مرة ينتظرها (المرشد) ليقودها إلى حكاية جديدة ..

إن (عبير) تنتمى إلى (فانتازيا) .. أرض الخيال التى صنعها الكمبيوتر لها من خبراتها ومعلوماتها الخاصة .. وأعاد تقديمها لها من جديد ..

(فانتازيا) هى المهرب من براثن الواقع .. وكل الوجوه التى لا تتغيّر ..

(فانتازيا) هى الحلم الذى صاغته عبقرية الأدباء

على مرّ السنين .. ولم يكن من حقنا أن نكون جزءًا منه .. لكن هذا فى مقدورنا الآن ..

لسوف نرحل جمعيًا مع (عبير) إلى (فانتازيا) .. نضع حاجياتنا وهمومنا فى القطار الذاهب إلى هناك ..

هو ذا جرس المحطة يدق .. وهدير المحركات يدوى .. إذن فلنسرع !

★ ★ ★

١ ـ أدغال من جديد ؟

الظلام ..

ثمة أنواع شتى من الظلام منها ما هو حالك ، وما هو كثيف ، وما هو مدلهمّ .. لكنها لم تخبر قط هذا الظلام العجيب المتجانس الأسود ، الشبيه بفراء سميك يطبق على روحها .. وكأنها لو مدّت يدها للأمام لاصطدمت به أو أبعدته عن وجهها قليلاً ..

مدّت يدها فإذا بها تلمس الخشب .. حركت ساقيها فاصطدمت بالخشب وانغرس رأس مسمار فى ربلتها ..

الآن تدرك الحقيقة ؛ وإن لم تجسر على الاعتراف بها ..

إنها مدفونة حيّة !

مدفونة فى تابوت مغلق فوقه طنّ من التربة !

★ ★ ★

وتعود (عبير) بذاكرتها إلى البداية :

لقد تهادى قطار (فانتازيا) فى رحلته التى لا تنتهى ما دامت هى حيّة ، ومادام ـ وهذا مهم ـ لدى المبدعين خيال ..

جوارها فى القطار يجلس (المرشد) يداعب قلمه الزنبركى الكريه بذلك الصوت القاتل : تك تتك تك !

وتثاءب منتظرًا قرارها لمغامرة اليوم ..

سألته وهى ترمق المشاهد المتوالية :

- « (مرشد) .. هل يمكننى أن أواجه مغامرة عربية ؟ »

- « هذا من حقك يا فتاة .. إن عالم ألف ليلة وليلة يستأهل زيارة بالطبع ، دعك من حشد الأساطير العربية على غرار الغيلان والعنقاء ووادى (عبقر) .. يمكنك أن تقابلى (أدهم صبرى) أو (نور الدين) أو (المغامرين الخمسة) أو (الشياطين الـ ١٣) .. للأسف لا يحضرنى نموذج معاصر يقدّم لك الإثارة التى تريدينها إلا فى هذه الأمثلة .. إن أدب المغامرة ليس شائعًا فى العالم العربى فى هذا العصر ، بل ولربما اعتبره النقاد أدبًا من الدرجة الثانية .. »

- « لكن هذا غير صحيح .. »

- « هو صحيح وغير صحيح معًا .. لا أحد ينكر مكانة وموهبة (آرثر كونان دويل) فى الأدب الإنجليزى .. لكن لا أحد يجرؤ على مقارنته

بـ (جيمس جويس) مثلاً .. إن ما يحكيه العجوز (رفعت إسماعيل) مسل ، لكن لا يمكن مقارنته بأدب (يوسف إدريس) .. هل كل ما كتبته (أجاثا كريستى) يُقارن بمسرحية واحدة لـ (شكسبير) ؟ »

- « إذن هو صحيح ؟ »

- « لا .. لقد كان (توفيق الحكيم) يحبّ المواويل الشعبية ، ويحبّ الموسيقا الكلاسية ، ويستمتع بكلا النوعين .. يقول فى تفسير هذا إنه كان يستمتع بكل فن بمقاييسه الخاصة ، كصياد يستعمل شبكة معينة للظفر بالأسماك الصغيرة ، وشبكة أخرى للظفر بالأسماك الكبيرة .. يقول (الحكيم) : فلو استعملت شبكة واحدة لنوعى الأسماك لأفلتت منى أنواع كثيرة .. لكنى تذوقت كل فن بمقاييسه هو لا بمقاييس الفنون الأخرى .. »

« يجب أن تنظرى لأدب المغامرة كما هو .. باعتباره أدب مغامرة ، وتنظرى للأدب الواقعى والاجتماعى كما هو .. باعتباره أدبًا واقعيًا واجتماعيًا .. لا تتهمى .. (أجاثا كرستى) بأنها سطحية .. ولا تتهمى (جيمس جويس) بأنه مملّ .. كلاهما يكتب

نوعًا خاصًا من الفنّ لـه مقاييسه المتفرّدة .. إن الملوخية ليست كنبية عند مقارنتها بالبرتقال ، بل كلاهما يؤدى وظيفة محدّدة .. فهذه خضر وهذا فاكهة .. »

- « أفادكم اللّه »

قالتها وتثاءبت ..

إن (المرشد) العجوز يبغى بعض التفلسف اليوم ، وهى لا تفهم جلّ كلامه ، لكنه يريحها .. على الأقل يخبرها بأنها ليست آثمة جدًا حين تحب أدب المغامرة ..

من جديد سألها :

- « هل تريدين تجربة ألف ليلة وليلة اليوم ؟ »

- « لا .. دعنا ننتظر قليلاً .. سأجربها حين تكون معنوياتى فى الحضيض .. »

وألقت نظرة من نافذة القطار ..

كانت ترى الأدغال .. الأشجار المتشابكة والقردة تتواثب فوق الغصون مطلقة صرخاتها القصيرة الحادّة ..

لم تكن كأدغال (طرزان) التى رأتها من قبل ، ولكنّ لها طابع غير معتاد .. حقًا إن الأدغال تتباين فيما بينها بطريقة لا يتوقعها المرء ، كما أن البحار تتباين والشلالات تتباين ..

ثمة شىء فى داخلها أشعرها بأنها ترى أدغالاً آسيوية .. ربما فى (الملايو) ربما فى (فيتنام) .. المهم أنها أدغال شىء ما فى جنوب شرق آسيا ، فلا ينقص المشهد سوى حقول أرز ، أو طائرة هليوكوبتر أمريكية تحلق فوق كل هذا لتحرقه ..

قالت له فى حيرة :

- « هل توجد أدغال أخرى فى القصص غير أدغال (إفريقيا) ؟ »

ابتسم كأنما يسمع حماقة مرعبة :

- « بالطبع .. كم من قصص حدثت فى (الأمازون) ، وكم من قصص حدثت فى (جنوب شرق آسيا) .. ليست قصص (طرزان) وروايات (رايدار هجارد) هى المصدر الوحيد للأدغال .. »

- « وما القصة الجارية هنا ؟ »

فكّر قليلاً .. نظر من النافذة ، ثم أخرج كتيبًا صغيرًا من جيبه استطاعت (عبير) أن تقرأ عليه (دليل فانتازيا) .. تصفحه ، وقد بدا مهمومًا مرتبكًا .. فى النهاية قال :

- « حقًا لست متأكدًا .. يبدو أنهم نسوا طباعة هذا الجزء .. »

- « إذن توقف هنا ! »
- « ولكن ليس عندى أدنى فكرة عن ...... »
- « قلت : توقف ! »
وجذبت الحبل لتوقف القطار ..

★ ★ ★

محتجًا قال وهو يدسّ الكتيب فى جيبه :
- « لكن هذه مخاطرة .. ربما كانوا يقطعون رءوس الضيوف هنا بلا مناقشة .. كما إننى لا أعرف نقطة البدء .. »
- « هذا يجعل السحر مضاعفًا .. لذة الاستكشاف ولذة الخيال معًا .. قد يكون فى هذه البقعة أى شىء ! »
- « أى شىء مفزع .. »
- « لا عليك .. »
وترجلت من القطار ، لتغوص قدماها فى العشب الطويل البرّى الذى يوشك أن يصل لأعلى ساقيها ..
وقف (المرشد) على باب القطار مترددًا ما بين البقاء والوثب ..
- « تريثى .. إن هذه الأعشاب خير مأوى للثعابين .. »

- « ليس عليك أن تهبط .. المهم أن تجىء فى الوقت المناسب لأخذى .. »
- « لا تعتمدى على هذا .. لكنى سأحاول ! »
وتحرك القطار فى بطء سرعان ما استحال إلى سرعة ..
ووقفت وحدها ترمق الدغل القصىّ ..

★ ★ ★

٢ ـ عالم مجنون وكنز وما إلى ذلك ..

سعلت (عبير) .. شهقت فى عمق لتزيح الظلام المرعب عن روحها .. لقد قرأت كثيرًا من قصص الدفن حيًا لـ (إدجار آلان بو) ، وتعرف جيدًا أن الرعب لن يفيد .. الهلع هو الحلّ الوحيد !

صرخت وراحت تلكم الخشب فى جنون ، تلك اللكمات ذات الصوت المُصمت الكئيب الذى يخبرها بأنها لن تتحرّر أبدًا .. لن تهشم الخشب ..

لكنها كانت تدرك أنه سيجىء وسيحررها .. حتمًا سيحررها .. من المستحيل أن تكون هذه هى النهاية .. الفرجِ يأتى دائمًا فى آخر لحظة .. هذه هى القواعد التى استنها (جريفث) فى أفلامه السينمائية الأولى ، التى حذا حذوها الجميع فيما بعد .. الإنقاذ فى آخر لحظة .. المظلة تحت مقعد الطائرة .. كلها أسماء لا تعنى سوى شىء واحد : لا بد أنها ستنجو قبل أن ينتهى (الأوكسجين) فى هذا التابوت الخشبى ..

★ ★ ★

الغريب هو أن (عبير) حين غادرت القطار ، وبينما هى تتحسّس موطئ قدميها على العشب ، أدركت فجأة أن هذا ليس دغلاً على الإطلاق .. إنه أسفلت ! والأغرب أنها فى شارع عصرى مزدحم بالسيارات .. وأنها ترتدى ثيابًا شبيهة بثياب الثلاثينات من قرننا هذا ، وعلى رأسها قبعة حمراء لا بد أنها كانت أنيقة وقتها ..

ـ « لا بد أن هناك خطأ ما .. »

هل هذا حلم أدغال ، أم هو حلم مدينة ؟

حقًا هى لا تفهم شيئًا .. لا بد أن (دى جى ـ ٢) يعانى من فيروس ما ، أو أن هناك قطاعات تالفة بالقرص الصلب ..

كان كل شىء يشدها إلى البناية التى تقف أمامها ، ورأت على الباب لافتة تقول إن هذه جريدة (لوس أنجيليس) اليومية .. هذا غريب ! كل شىء ـ مرة أخرى ـ يذكرها ببداية قصتها مع (سوبرمان) ..

هل تتكرّر القصة ثانية ؟

دفعت قدميها دفعًا إلى الدخول من الباب ، فركوب المصعد إلى الطابق الرابع .. وأدركت دون جهد أنها

تخوض مغامرة تمت فى ثلاثينات هذا القرن ، وبالتحديد فى (لوس أنجيليس) التى يصرّ الجميع على تسميتها (لوس أنجلوس) ..

الآن تعرف جيدًا أنها صحفية جميلة .. وبالتحديد اسمها (ديانا بالمر) ، وتعرف أن هذه الجريدة هى مقرّ عملها .. لكن ما دورها بالضبط ؟

★ ★ ★

إن دور الصحفية يتكرّر كثيرًا فى القصص المصوّرة ، فهناك دور صديقة (سوبرمان) العتيدة الجريئة التى يوقعها حظها وفضولها فى أسوأ المشاكل ، وهناك (أبريل) الصحفية صديقة سلاحف (النينجا) ، وهناك (ديانا) التى سنعرف الآن صديقة من هى ..

لكن هذا الدور يتخذ دائمًا بعدًا واحدًا لا يتغير .. فتاة جميلة متحمسة فضولية ، جريئة جدًّا تهوى الوقوع فى شتى أنواع المتاعب .. ودائمًا ما يحبها البطل ويميل إليها ويحميها ..

★ ★ ★

دخلت غرفة التحرير ، فجلست إلى مكتبها وراحت تكتب على الآلة الكاتبة .. لقد تعلمت من مغامرتها مع (سوبرمان) شيئًا لا بأس به عن عمل الصحفى ..

وبعينها اختلست نظرة عابرة إلى الحجرة .. كل شىء له مذاق الثلاثينات حقًّا .. سحابة دخان التبغ .. القبعات والمعاطف المعلقة على المشاجب .. أكثر الصحفيين شمروا أكمام قمصانهم أو لبسوا الأكمام السوداء الواقية فوقها ، وأرخوا ربطات أعناقهم وهم يعملون .. وبالطبع كان كل منهم يضع الكاسكيت الأسود الذى يحمى العينين من النور ، وراح يمضغ – ولا يدخن – لفافة تبغ فى نهم ..

كانت قد بدأت تتساءل عن كنه المغامرة ، حين دخل البروفسور (شميرتز) حاملاً أوراقه ..

ولمن لا يعرفون البروفسور (شميرتز) نقول إنه عالم مجنون ..

وككل العلماء المجانين لا بد أن يكون نحيلاً محنى القامة ، له شعر أشعث أشيب ، ويرتدى معطفًا متسخًا حال لونه ، وعلى أنفه عوينات سميكة صغيرة تم لحامها بالحرارة مرارًا ..

كان يقصد مكتبها ..

وأدركت (عبير) أن المغامرة ستكون ممتعة حقًّا .. كل المغامرات التى بها علماء مجانين تكون ممتعة ..

★ ★ ★

وضع الأوراق على مكتبها ، وبصوت مرتجف هتف :

ـ « أنا البروفسور (هانز شميرتز) .. واحد من أعظم عباقرة التاريخ فى (فيينا) .. حُجَة فى علم الآثار .. خبير لغات ميتة .. »

ما كان بحاجة لأن يعلن عن موطنه ، لأنه ـ حتى لـ (عبير) ـ كان يتحدَث بتلك اللكنة الإنجليزية المضحكة التى يتحدَث بها النازيون فى الأفلام .. أما عن مديحه لنفسه ، فكل هؤلاء العلماء المجانين عباقرة دائمًا ..

صافحته فى فتور ، وكانت يده عظمية باردة وبرغم هذا مبللة بالعرق ، ودعته ليجلس ..

ـ « بِمَ يمكننى مساعدتك يا بروفسور ؟ »

نظر حوله فى حذر ، ثم قرّب رأسه منها ليهمس :

ـ « هل يوجد مكان بعيد عن الأسماع ؟ »

نظرت حولها بدورها .. كان الصخب هائلاً .. الجميع يصرخ .. ولا أحد يصغى لحرف مما يقوله الآخر ، وفى ثقة قالت :

ـ « ثق أن أحدًا لن يسمعك هنا .. إنه أكثر أمنًا من غرفة تحت الأرض ! »

مدّ يده المرتجفة ليفتح رزمة الأوراق التى يحملها ، وتناول ورقة مطوية ومصفرّة من نوع (الكلك) الشفاف ، وفتحها فى رفق :

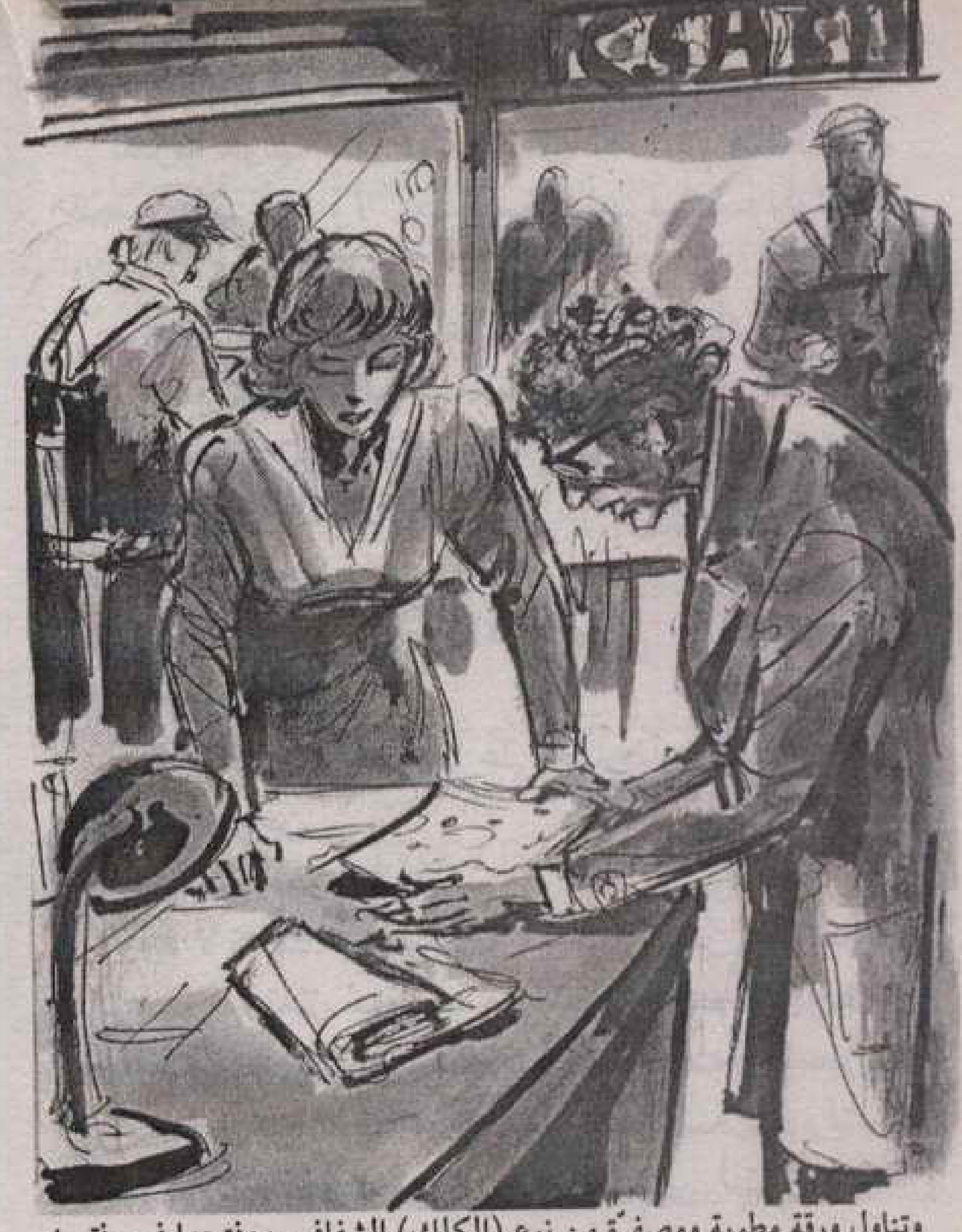
ـ « ها هى ذى خريطة الكنز ! »

ـ « فهمت ! »

ـ « انظرى إذ أضعها على خارطة (الملايو) ولسوف تفهمين .. »

ـ « إننى أتحرّق شوقًا .. »

وبيد لا تكفّ عن الرجفة ؛ رأت (عبير) الرجل يفتح خارطة تمثل مجموعة من الجزر .. لم تكن قط بارعة فى (الجغرافيا) لكنها استطاعت أن تميز (أستراليا) فى الطرف السفلى للخارطة .. ورأت مجموعة جزر قدرت أنها (إندونيسيا) .. متى رأت هذا المشهد آخر مرة ؟



وتناول ورقة مطوية ومصفرّة من نوع (الكلك) الشفاف ، وفتحها فى رفق :
- «ها هى ذى خريطة الكنز !» ..

ربما فى الشهادة الإعدادية .. فى كتاب الوزارة ..

كانت الورقة الشفافة تحمل مجموعة من النقاط ، وسرعان ما استقرت هذه فوق الجزر .. أما النقطة الحمراء فلم تكن تنطبق على أية جزيرة .. بل على البحر الأزرق قاتم اللون ..

استطاعت أن تقرأ أسماء الجزر : (بالى) .. (جاوه) .. (سومطرة) .. (بورنيو) .. أما النقطة الحمراء التى لا جزيرة تحتها فكانت تحمل اسم (بنجلا) ..

هتف البروفسور المخبول فى حماس :

ـ « هل ترين ؟ كل شىء يشير إلى هذه الجزيرة : (بنجلا) »

ـ « لا أرى أية جزيرة ! »

برطم الرجل بالألمانية ـ غالبًا كان يسبّها أو يبدى حنقه من غبائها ـ وهتف بالإنجليزية :

ـ « لأنك ـ ككل الناس ـ تثقين بالخرائط أكثر من اللازم .. هذه الجزيرة لم يرسمها جغرافى من قبل ، ولم يرها أحد .. »

ـ « فيما عداك ؟ »

- « طبعًا .. وهأنتذى تعلمين جلّ ما أعلمه .. »

ابتلعت ريقها .. من المستحيل أن تطرده .. إن (دى جى - ٢) بالتأكيد قد وضعه فى طريقها لأنه مفتاح المغامرة القادمة ..

مالت على المكتب ، وفى حزم قالت :

- « هلا حكيت لى الموضوع من البداية يا بروفسور ؟ »

★ ★ ★

قال البروفسور :

- « الجزيرة التى أتكلم عنها هاهنا لم تُرسم فى أية خارطة ، ولم يرها أى جغرافى .. ربما رآها بعض الملاحين وحسبوها من الجزر المحيطة بـ (بالى) .. لقد حبا الله تلك الجزيرة كل ما يجعلها خفية عسيرة على الباحثين .. حولها صخور عالية قمينة بتحطيم أية سفينة إلى فتات ، وتحيط بها أمواج عاتية لا تصدقينها ما لم تريها ، كما أن هناك مساحة شاسعة من أكثف ضباب يمكن تخيله .. إن من يبلغ جزيرة كهذه لا يبلغها إلا جثة غارقة أو ناجيًا بأعجوبة من الغرق .. »

« من الواضح أن هناك سفينة هولندية غرقت قربها فى القرن السابع عشر ، وقد استطاع ثلاثة رجال أن يبلغوا الشاطئ .. »

« عاش هؤلاء على ظهر الجزيرة يمارسون حياة شبيهة بحياة (روبنسون كروزو) ، إلى أن أدركوا أن هذه الجزيرة تدارى كنزًا مذهلاً يبدو أن القراصنة - وهم كثير هنا - قد واروه هناك .. »

« وأقسم الرجال الثلاثة على أن يعودوا للجزيرة يومًا ما - لو كتبت لهم النجاة - لينقلوا هذا الكنز بطريقة لا تثير الريبة ..

« يمكن القول إنهم - بشكل ما - استطاعوا أن يصنعوا طوفًا ، وغادروا نطاق الأمواج والصخور والضباب المحيط بالجزيرة ليصلوا إلى (سومطرة) ، حيث ابتاعوا سفينة قديمة .. وأبحروا من جديد عائدين إلى جزيرتهم .. عازمين على ملء السفينة بكنوز القراصنة .. »

وبدا الأسف على وجهه ، وهو ينظف عويناته بمنديل متسخ ، ثم أردف :

- « طبعًا لا داعى لذكر أنهم لم يصلوا قط ..

لقد أسهموا ـ دون إرادتهم ـ فى تحسين الثروة السمكية لتلك المياه ، ومن المؤكد أن أجزاء عديدة من حطام سفينتهم قد ظهر طافيًا أمام السفن المبحرة فى تلك المنطقة ..

السؤال هنا هو : هل حدث هذا قبل أم بعد استرداد الكنز ؟ »

ـ « حقًا قبل أم بعد ؟ »

ـ « قبل ! »

قالها فى فخر ، وجمع أوراقه ليضعها فى الملف كأنه انتهى من إثبات نظريته ، ثم رأى أن يفيض فى الشرح :

ـ « لماذا افترضت أن هذا حدث قبل ؟ لأن سجلات شركة الملاحة الهولندية تقول إن العاصفة ـ التى بالتأكيد كانت سبب غرقهم ـ بدأت بعد رحيلهم بساعات ، وما كانوا ليجدوا الوقت الكافى لبلوغ الجزيرة .. وقد استمرت العاصفة فترة قصيرة جدًا ثم هدأت .. معنى هذا أن فرصتهم فى الغرق كانت محدودة جدًا .. كلا يا آنسة (بالمر) .. لا بد أن هؤلاء القوم غرقوا قبل الوصول لهدفهم .. »

ـ « وماذا عن القراصنة ؟ ألم يعودوا لاسترداد كنزهم ؟ »

ـ « سؤال جيد ! »

قالها فى استحسان ، وكوّر إصبعيه السبابة والإبهام فى دائرة تعنى أنها أجادت وأصابت فى هذا السؤال ..

ـ « سؤال جيد ! وأنا أحبّ الأسئلة الجيدة .. »

كرّرها من جديد ، وقد مدّ يده للملف يخرج وريقة متسخة :

ـ « هذا هو التقرير الذى كُتب عن إغراق آخر سفينة للقراصنة فى تلك البقعة .. واضح من التاريخ أنه يسبق هذه الأحداث بعشرين عامًا .. هل تفهمين معنى هذا ؟ عندما وجد الهولنديون الكنز كان آخر قرصان قد شنق أو غرق منذ عشرين عامًا .. ومعنى هذا ـ ببساطة ـ هو أن الكنز ما زال ينتظر .. »

فى شك سألته ، وهى لا تجرؤ على تدوين ملاحظاتها على الورق :

ـ « وكيف عرفت أنت هذا كله ؟ »

ـ « عن طريق تحضير الأرواح طبعًا ! »

وابتسم إذ رأى دهشتها :

ـ « إننى أهوى تحضير أرواح الغرقى لاستجوابهم ، وقد استطاع الوسيط أن يرسم لى هذه الخارطة وهو نائم .. ومن الواضح أنها دقيقة جدًا جغرافيًا ، ولها مقياس رسم ثابت .. لا تفسير لهذا سوى أن الرسالة صحيحة ويمكن تصديقها .. »

تحضير أرواح ؟ إن الأمر يتجاوز الخبال إذن .. وهذا هو دليله الوحيد على صحة ما قال .. كانت تتوقع حقائق أقوى ..

سألته وقد بدأ النعاس يراودها :

ـ « وما المطلوب منى إذن ؟ »

ـ « لقد قرأت مقالاتك عن جزيرة (بالى) يا مس (بالمر) ، وأدركت أنك من الطراز الذى يستطيع أن يؤدى لنجاح رحلة كهذه .. إنك تعرفين البلاد ، وتملكين حماستك .. وشبابك .. »

ـ « أنا كتبت مقالات عن جزيرة (بالى) ؟ »

سألته فى حيرة .. لا بأس بمعلومة كهذه ، فهى ما زالت بحاجة إلى معرفة مس (بالمر) هذه بشكل أفضل .. إذن هى من ذلك الطراز .. الصحفية التى تهوى الترحال ولا تهابه ..

عادت تسأله وهى تتثاءب :

ـ « ما زلت لا أفهم المطلوب منى .. »

للمرة الثالثة تمخط فى المنديل ، ثم راح يلمّع به زجاج عويناته .. فمن المؤكد أنه لا يرى شيئًا على الإطلاق بزجاج كهذا ..

قال لها :

ـ « أنا لا أملك المال اللازم لتمويل حملة كهذه .. أنت تملكين المال أو تملكين الطريقة للحصول عليه .. »

ـ « وما هو المقابل ؟ »

ـ « المقابل جزء من الكنز لك طبعًا .. وجزء لهذه الجريدة .. وجزء للأعمال الخيرية .. والباقى لى .. دعك من السبق الصحفى المثير .. »

ـ « ما زلت بحاجة لفهم ما هو مطلوب منى ! »

ـ « عليك برئيس التحرير .. لا بد أن يقتنع .. »

وضاقت عيناه وازدادت لهجته رداءة وألمانية :

ـ « عندها تكون حملتنا معًا .. أنا وأنتِ ! »

★ ★ ★

٣ ـ الكابتن (هورتـــون) ..

توقعت أن رئيس التحرير سينهرها أو يطردهـا ، لكن الرجل بدا متحمسًا لهذه الترهات الصادرة من عالم مخبول ..

كـانت هذه هـى الثلاثينات ؛ حيث أخذت الأزمة الاقتصادية وانهيار الأسهم فى البورصة بخناق العالم .. عصابة (المافيا) منهمكة فى تهريب الخمور وإطلاق الرصاص فى شوارع (شيكاغو) ، وعبر البحر يتمطى النسر الألمانى مستعدًا لغزو العالم ، ليحيط الكرة الأرضية كلها بعلامة الصليب المعقوف ..

كان الناس خائفين متوترين ، وكان توزيع صحيفته فى الحضيض ، لهذا أدرك ـ بغريزة التاجر البارع ـ أن الناس بحاجة إلى الإثارة .. إلى الخيال يهربون به من حصار الحياة اليومية الخانقة ، وسلسلة مقالات من طراز (البحث عن كنز) ستنجح نجاحًا باهرًا ..

لم يكن لديه قيد أو شرط .. سيموّل الرحلة ..

ستسافر (ديانا) / (عبير) بالطائرة إلى (جاكرتا) ، ومن هناك يمكنها البحث عن سفينة ، ثم الإبحار إلى الجزيرة .. ماذا كان اسمها ؟

نسيت للأسف !

★ ★ ★

فى (جاكرتا) بدأت استعدادات الإبحار بحثًا عن سفينة صالحة ..

المشكلة هى أنها لا تفقه شيئًا عن البحر ، وكذلك البروفسور .. إنه يشير إلى اتجاهات الخارطة بـ (يمين) و (يسار) ، وليس (شرق) (غرب) كما تقضى الضرورة ، ومعلوماته عن الإبحار بدائية تمامًا تتلخص فى أن الإبحار هو فن (الإبقاء على السفينة فى البحر أطول مدة ممكنة) ..

ولما كانت (بالمر) قد قامت برحلة مماثلة من قبل ؛ كان عليها أكبر العبء فى البحث عن سفينة مناسبة وبحارتها ..

ولكن كيف ؟

هناك دائمًا فى كل ميناء حانة يحتشد فيها البحارة ، يتبادلون الشجار ويهشمون الزجاجات على رءوس بعضهم ..

وهداها الحظ إلى حانة كهذه دخلتها مع البروفسور المخبول ..

كان البحارة منهمكين فى الشجار كالعادة .. ورأت الكثير من الأجساد الطائرة فى الهواء ، و(الفياسكات) المحطمة التى تنتظر أن تنغرس فى عنق هذا أو صدر هذا ..

ـ « أنظروا يا شباب ! »

أطلقها أحدهم ، ثم ساد صمت بليغ تقطعه أصوات الصفير من الأفواه .. فهذه الحانة هى أقذر وكر يمكن تصوره فى المدينة ، وحتى الصراصير تشمئز من دخولها .. والآن يجدون أمامهم هذا الشىء الجميل الأنيق المدعو (ديانا بالمر) .. صفير .. صفير !

كانت فرائصها ترتعد ـ وهذا أقل ما نتوقعه ـ لكنها حاولت أن تعطى صوتها قوة ما ، وصاحت :

ـ « مرحبًا .. أ .. أنا أبحث عمن يقود سفينة إلى إحدى الجزر القريبة من (بالى) .. »

سألها ثور فظ يحكّ صدره فى استمتاع :

ـ « أية جزيرة يا آنسة ؟ »

كادت تنطق الاسم ، ثم رأت أن السريّة لن تضرّ أحدًا ..

ـ « أ .. جزيرة غير معروفة هى .. »

هنا صاح أحدهم :

ـ « مكالمة لك يا قابطن (هورطون) ! »

ورأت رجلاً ملتحيًا ينهض ليدنو منها .. كان من طراز (ذئاب البحر) كما يسمونهم فى القصص .. غليون .. لحيته بيضاء .. كاسكيت .. كنزة صوفية بها خطوط عرضية سميكة .. ولاحظت أن له أذنًا مثقوبة الشحمة يتدلى منها قرط صغير ..

برغم منظره بدا لها الرجل موحيًا بالثقة ..

مدّ القبطان يده مصافحًا .. يد خشنة قوية توحى بثقة أكبر .. وهزّ رأسه :

ـ « أنا الكابتن (هورتون) يا آنسة ؟ »

ـ « (بالمر) .. (ديانا بالمر) .. أمريكية .. »

ـ « وأنا إنجليزى .. »

هنا صاح أحد البحارة الثملين فى مرح وقح :

ـ « لقد وجد القبطان هدفًا لحياته أخيرًا ! »

كان ردّ الفعل سريعًا وقاسيًا حتى إن (عبير) لم تستطع فهمه إلا بكثير من العُسر .. يمكنها أن تقسم إن القبطان قلب المائدة على رأس البحار .. ربما

وجه لكمة فى معدته ، وربما لكمة فى ذقنه ، وربما ـ لكنها غير متأكدة ـ اعتصر ذراعه خلف ظهره ليلويها كى يسقط المدية .. كل شىء تمّ بسرعة جديرة بتسجيلها بكاميرا ذات سرعة غير عادية ، المهم أن المشهد انتهى بالبحار وقد تحوّل إلى عجين ..

عاد لها القبطان معتذرًا :

ـ « معذرة .. كانت هناك مناقشة لا بد من إنهائها مع هذا الزميل .. والآن كيف أستطيع مساعدتك يا مس (بالمر) ؟ »

ـ « كنت أفضل لو تحدثنا على انفراد .. »

نظر حوله ، ثم هزّ يده :

ـ « بالعكس .. هذا هو أكثر الأماكن أمنًا وحفاظًا على السرية .. فلو انفجرت هنا قنبلة لما لاحظ ذلك أحد .. يمكنك الصراخ مجاهرة بسرك فلن يفهم أحد حرفًا ! »

كان منطقه لا بأس به .. نفس منطقها الذى قالته للبروفسور فى الجريدة ..

لهذا أشارت إلى منضدة يرقد عليها بحار .. ودون كلمة أخرى اتجه القبطان إليها وركل البحار فاقد

الوعى بعيدًا ، ثم جذب لها مقعدًا لتجلس ، ومقعدًا آخر للبروفسور الذى أصابه خرس الأسماك من هول الجوّ الصاخب ، ثم جلس بدوره وراح يطلق سحابات كثيفة من دخان غليونه ويصغى ..

قالت (عبير) :

ـ « سأحاول أن أثق بك يا كابتن لأنك تبدو جديرًا بالثقة .. لكن ما سأقوله لك سيظل سرًا .. »

قرّب أذنه منها :

ـ « معذرة .. ماذا تقولين ؟ »

ـ « ما أقوله سيظل سرًّا ! »

هزّ رأسه علامة الفهم فالقبول :

ـ « نعم .. نعم .. سرّ .. موافق .. »

ـ « نحن نريد الوصول لجزيرة (بنجلا) .. »

ـ « جزيرة ماذا ؟ »

ـ « جزيرة (بنجلا) ! »

هنا ضاقت عيناه ، ونفث كمية هائلة من الدخان تعكس ما يجول بخلده من أفكار .. وأدركت (عبير) أنه يعرف الجزيرة .. عليها أن تطلق قذيفة اختبار لتعرف إن كان سيكذب عليها ..

- « هل تعرفها ؟ »

أغمض عينيه بمعنى أن نعم .. وسرها هذا .. لو كان قد كذب عليها فمعنى هذا أنه غير جدير بالثقة ..

انتظر بقية كلامها ، لكنها قالت منهية العرض :

- « خذنا إلى هناك .. هذا كل شىء ! »

نظر لها فى حيرة ، ونفث مزيدًا من الدخان :

- « وماذا تريد آنسة مثلك من تلك الجزيرة ؟ »

- « إننى صحفية وهناك ما يهمنى بها .. »

- « لكنها جزيرة لعينة حقًا .. لا يوجد بها سوى الثعابين وعدد لا بأس به من الأقزام الشرسين .. »

- « هذا .. عملى .. »

نظر إلى البروفسور ، وغمغم مفكرًا :

- « وهذا الأستاذ معنا أيضًا ؟ »

هزّ الأخير رأسه فى عصبية ..

قال القبطان :

- « ليكن .. إننى ..... »

هنا سقط بحار فوق المائدة قادمًا من مشاجرة فى مكان ما ، فأمسكه القبطان من مؤخرة عنقه ووجه له صفعتين ولكمة فى الأنف ، ثم طوّح به بعيدًا ليدخله فى مشاجرة أخرى ..

قالت (عبير) وهى ترمق المشهد :

- « لديكم كثير من العنف هاهنا .. »

وجه ركلة بحذائه الثقيل إلى بطن بحار يوشك على الارتطام بالمائدة ، وقال وهو ينظف غليونه :

- « إنهم بحارة مفعمون بالحيوية ، ولا بد من شىء يسليهم إذا ما لم يجدوا عملاً .. إن البحّار دون بحر إنسان خطر دائمًا .. لهذا أدع رجالى يستمتعون بالمشاجرات .. إنها تبدّد طاقاتهم الزائدة .. »

ثم عاد إلى الحديث الجدّى :

- « ليكن يا آنسة .. إن الأزمة الاقتصادية جعلت العمل شحيحًا ، وليس من عملى أن أوجه أسئلة .. لك ما طلبت لكنى أنذرك أننى وسفينتى وطاقمى نكلف كثيرًا جدًا .. »

- « هل سفينتك بحالة جيدة ؟ »

- « كل البحارة يعرفون أن (المصيبة) - سفينتى - هى أفضل سفينة فى (الملايو) كلها ! »

ومدّ يده ليصافحها علامة الاتفاق النهائى ..

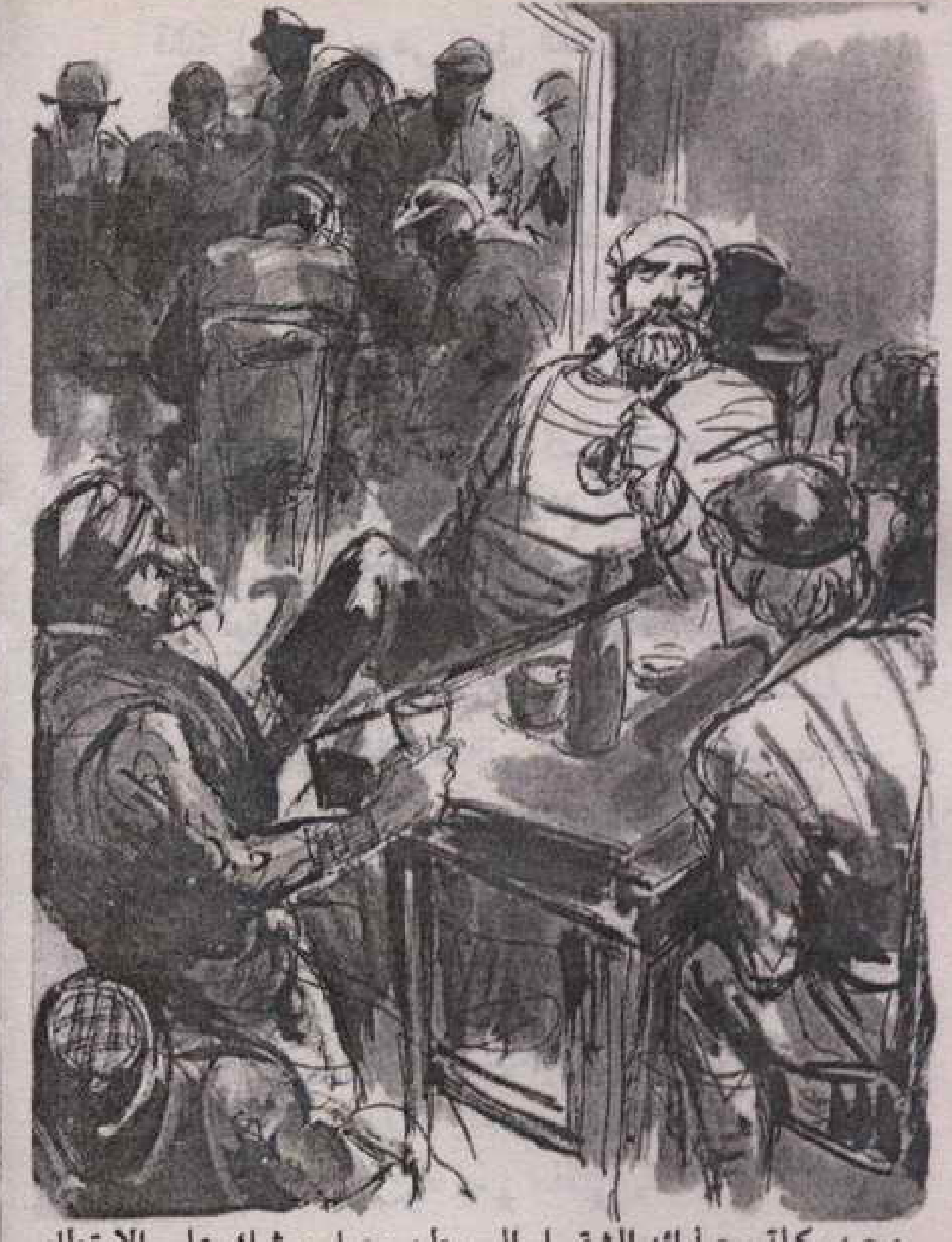
★ ★ ★

٤ ـ إلى (بنجــلا) ..

وكما توقعت ؛ سمعت صوت الدقَّـات مـن فـوق رأسها .. أرادت أن تصرخ طالبة الغوث لكن لم يعد هناك ما يكفى من الهواء .. تذكَّرت اللعبة التى كانت تمارسها فى طفولتها حين كانت تدسّ رأسها فى كيس من البلاستيك لدقيقة ، شاعرة بالهواء يزداد ثقلاً وعسرًا حتى لا يعود هناك شىء على الإطلاق ، عندها تنزع الكيس شاعرة بلذة (الأوكسجين) .. اللذّة التى ننعم بها فى كل ثانية حتى إننا لا نلاحظها ..

لقد صفعتها أمها حين ضبطتها تمارس هذه اللعبة الخطرة يومًا ، ومـن يومها لم تجرؤ على المحاولة ثانية .. فيما بعد صاروا يكتبون على الأكياس كلها (هذا الكيس ليس لعبة .. خطر الاختناق) .. ومن يومها صارت هذه اللعبة خطرة بحق ! كأنما لم يكن الاختناق ممكنًا قبل كتابة هذه العبارة ..

صوت رفش .. صوت غبار ينزاح ..



وجه ركلة بحذائه الثقيل إلى بطن بحار يوشك على الارتطام بالمائدة ..

لقد وجدوها ..

وها هو ذا صوت الكلب المخيف (ديفل) وهو ينبش الغبار بلا هوادة ..

إذن هو من شمّ رائحتها ..

★ ★ ★

وتتذكر (عبير) وهى بين الوعى الكامل والهلوسة ؛ تلك المرحلة التى راحت فيها جوهرة سفن الملايو (المصيبة) تمخر عباب البحر ، متجهة إلى جزيرة ما رسمها أحد على أية خارطة .. فقط يعرف البحارة أنها هناك ..

سألت البروفسور وهما واقفان على السطح يرمقان الأمواج تتصارع أيها يعلو برأسه أكثر :

- « بروفسور .. ما هى الخطوة التالية لدى وصولنا للجزيرة ؟ »

أشار إلى جيبه فى اعتزاز وارتعش انفعالاً :

- « كل شىء لدىّ هنا .. لقد أخبرتك باسم الجزيرة ، أما مكان الكنز على الجزيرة فسرّ أبقيه للحظة الأخيرة .. »

- « وكيف ننقله من هناك وسط هؤلاء البحارة ؟ »

- « سنأخذ عدة صناديق .. نضع الكنز فى قاعها ، ثم نغطيها بآثار وتذكارات لا قيمة لها مما تزخر به جزيرة كهذه .. »

- « وهل يصدقوننا ؟ »

- « إنهم يرون حتمًا كثيرًا من العلماء المخابيل .. »

باسمة فكرت فى أنه على الأقل لم يفقد القدرة على الحكم الصحيح .. وإن ظلت متشككة فى تلك الأرواح التى تجيد تحديد الإحداثيات ، وباللغة الهولندية دون سواها !

وراحت - فى تعاسة - ترمق سفن الصيد البدائية التى يقودها الإندونيسيون ، وهى تتسول حول سفينتهم ؛ اللحم المقدّد والعصير مقابل كل ما تحمله السفينة من سمك ..

كان البحر مزدحمًا كأى شارع فى وسط (القاهرة) فى الثانية بعد الظهر .. وجاء القبطان وهو لا يكف عن الصراخ فى رجاله ، وإطلاق الشتائم البحرية شديدة التعقيد ، التى لا يمكنك فهم أنها شتائم إلا من صراخه وتعبيرات وجهه وهو يقولها ..

قال للبروفسور وهو يلكمه بين لوحى كتفيه :

- « هلم يا أستاذ ! غدًا نرى (بنجلا) ! »

- « بهذه السرعة ؟ »

- « طبعًا .. لكن هذا هو أعقد جزء فى الرحلة كلها .. ولو لم تحترس (مصيبة) لحدثت لنا مصيبة ! هى هى هى هيا هيا هاها ! »

وأعجبته الدعابة فراح يضحك لنصف ساعة أو أكثر ، حتى أدمعت عيناه واحمرّ وجهه ..

★ ★ ★

فما إن أشرقت شمس الصباح ، حتى رأت (عبير) سحابة بيضاء من سحب السماء تسبح فوق مياه البحر ..

فهمت من البروفسور أن هذه جزيرة (بنجلا) التى يحيط بها الضباب ، إلى حدّ يجعل المرء عاجزًا عن التصفيق لو أراد ..

وأدركت (عبير) أن قمم الجبال التى تحيط بالجزيرة ليست سوى أمواج عاتية غضبى لا تهمد لحظة ..

إنها الجحيم إذن ..

والمصيبة أن الوصول إلى هذا الجحيم عسير حقًا ..

حبست أنفاسها واستعدت للأسوأ ، بينما القبطان يزأر بأوامره للرجال .. أنزلوا القلوع يا حمقى .. تشبثوا .. ثم رآها والبروفسور يقفان على حاجز السفينة يتأملان كل هذا بلا مبالاة ، فعاد يزأر :

- « أيها ذان الأحمقان ! أتحسبان الأمواج لن تقذف بكما لأنكما سائحان ، ولأنكما تستحقان معاملة أرقّ ؟ »

ثم أشار لهما إلى أسفل بإصبع غليظة :

- « تحت ! وتشبثا بقطع الأثاث قدر الإمكان .. »

هرعت (عبير) والبروفسور لأسفل ، وهما يرتجفان رعبًا حتى إن الرجل تعثر مرتين أو ثلاثًا ، وأدمى أنفه .. كان يشعر أن هذه إهانة لمن هو فى مستواه العقلى والعلمى ..

وفى قمرتها جلست (عبير) على الفراش ، واحتضنت الدعامات الخشبية فى جنون .. المشكلة هى أن دوار البحر بدأ متأخرًا جدًا ، وها هى ذى تشعر أن سقف فمها يسبح فوق بركة من القيء .. كل شيء يخضرّ ، وبدا لها أن الأرض الخشبية :

أولًا : مرتفعة أكثر من اللازم ..

ثانيًا : لينة أكثر من اللازم ..

وأدركت أن الحجرة تميل وتميل .. فى كل لحظة تحسب الأمر انتهى ، ثم يتضح أن هناك آفاقًا أسوأ وأسوأ ..

مرّت ساعة ، وأدركت على الفور أن الأمر يفوق ما توقعته .. إنها كالمربوطة فى أرجوحة مجنونة تتمسك بطرف واحد فقط .. هى معجزة فيزيائية ألا تنقلب هذه السفينة .. المحيط الهادى كله ضدها و(المصيبة) العجوز مصرّة على المقاومة ..

لكن إلى متى ؟

★ ★ ★

هنا انفتح الباب وبرز لها أحد البحارة :

ـ « القبطان يدعوك للاستعداد ! »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « للنزول إلى الشاطئ ! »

ـ « لكننا لم نصل بعد .. »

هزّ البحار رأسه فى احترام :

ـ « معذرة يا (آنصة) .. لكن الدنو أكثر معناه أن تتحول السفينة إلى نشارة خشب .. إن قاربًا سينقلك والبروفسور إلى اليابسة .. »

تقلصت أمعاؤها رعبًا ، وراحت ـ مترنحة ـ تعدّ حقائبها .. اثنتان ستكونان كافيتين غالبًا ..

ثم خرجت من القمرة ، فلم يعرض البحّار حمل واحدة منهما ..

وهنا عرفت الفرق بين البحّار وإنسان اليابسة .. كان الرجل يسبقها مستقيم القامة ثابت الخطى ، بينما هى تطير ذات اليمين وذات اليسار وتصطدم بالجدران .. إن قوانين الفيزياء لتتوارى خجلاً حين تتعامل مع واحد من (ذئاب البحر) هؤلاء ..

وعلى ظهر السفينة خيل إليها أنها ترى مشهدًا لقرية ابتليت بالسيول .. الرؤية مستحيلة والرذاذ فى كل مكان ، والقبطان يرتدى معطفًا جلديًا أسود وقد اعتصر الكاسكيت بيده ليمنعه من الطيران ..

يصرخ كى تسمعه :

ـ « هيا يا آنسة ! ستنزلان الآن ! »

صاحت بأعلى صوتها :

ـ « ألن ننتظر حتى تهدأ هذه العاصفة ؟ »

ـ « لن تهدأ ! يمكن القول إن هذا أحسن مناخ يمكن زيارة (بنجلا) فيه ! »

ولشدة هلعها رأت قاربًا مربوطًا بالحبال ، وقد ركبه بحّاران ، وركب البروفسور فيه وقد التمعت عيناه حماسة :

ـ « لن أنزل ! »

لا إرغام هناك يا آنسة .. يمكنك انتظار البروفسور هنا حتى يعود .. »

ثم تذكّرت أن عليها أن ترى كل شىء ، وإلا لن تكون هناك قصة ، ولن يجد المدير ـ لو عادت ـ سببًا يبرر كل ما تم إنفاقه من مال ..

إن العمر واحد والرب واحد .. ثم إن هذه (فانتازيا) .. نوع من ممارسة الخيال بشكل عملى .. بماذا نصف من يدخل الملاهى ثم يأبى ركوب الأرجوحة العمودية الدوّارة لأنها تصيبه بالدوّار ؟ إنه أحمق .. وإلا لماذا جاء للملاهى أصلاً ؟

وهكذا وضعت قدميها فى القارب ، ودعت اللّه أن تكون نهايتها سريعة بلا ألم ..

ـ « أنزلوا القارب ! »

هذه من القبطان ..

ـ « آى آى يا سيدى ! »

(آى آى) يعنى (نعم) بلغة البحّارة ، وكانت من كبير الضباط أو الضابط الأول أو ذراع القبطان الأيمن ..

وراح القارب ينحدر .. ينحدر ..

★ ★ ★

و .. بالطبع قطعوا الحبال ..

عندها بدأ الجحيم الفعلى ..

★ ★ ★

٥ ـ فى (بنجـــلا) ..

وكما هى العادة فى هذه القصص ؛ لم تدر ما حدث لها ..

فقط صحت من الإغماءة لتجد أن فمها ملىء بالرمال .. وأن شعرها وثيابها ليسا أفضل حالاً .. كانت الشمس الاستوائية الحارقة تغمر جسدها بألف سوط وألف لهب ..

نهضت مترنحة .. وساءها أنها فقدت حذائيها .. طبعًا .. لحسن الحظ أنها لم تفقد حياتها ذاتها ..

كان البروفسور قادمًا من بعيد .. لقد فقد عويناته ، ومن الجلىّ أنه لا يرى شيئًا على الإطلاق .. كان فى أتعس حال ..

ترى أين ذهب البحاران إذن ؟ سرعان ما رأت النحيل فيهما قادمًا من أعماق الجزيرة ذاتها ، أما البدين فكان قادمًا من جهة المحيط ..

صاحت فى مرح :

ـ « الحمد لله ! لم يمت أحد ! »

قال البحار البدين وهو يحكم ربط منديل رأسه :

ـ « ولماذا يا آنسة ؟ لم نفقد أحدًا على سواحل هذه الجزيرة منذ عشرة أعوام ! »

ـ « وهل أنتم معتادون على هذا ؟ »

ـ « طبعًا .. وفى كل مرة يحدث الشىء ذاته .. لو لم يتحطَّم قاربنا على الصخور لشعرنا بدهشة بالغة ! »

ـ « فقدت عويناتىىىىى ! »

تعالى صوت نواح البروفسور .. واضح أنه كان يفضل الموت على فقد عويناته .. ولم يبد مستعدًا لسماع عبارات العزاء على شاكلة (إن حياتك أهم) أو (فلتذهب العوينات للجحيم) ..

سألت البروفسور فى قلق هامسة كى لا يسمعها البحاران :

ـ « هل سيمكنك العثور على الكنز من دون العوينات ؟ »

ـ « طبعًا مستحيل ! »

ـ « ولو عن طريق الوصف ؟ »

ـ « لا بد من أن أرى الرسوم بعينىَّ .. »

إن الأمور تسوء دون انقطاع ..

سألت البحّارين :

ـ « وماذا عن سفينة (المصيبة) ؟ »

قال النحيل وهو يتثاءب :

ـ « هاااه » .. إنها تدور حول الجزيرة على أساس أن تعود لذات النقطة غدًا .. سيكون علينا وقتها أن نجتاز نطاق الصخور سباحة .. من العسير أن نصنع قاربًا بهذه السرعة .. »

سألها البدين وهو يفترش الرمال :

ـ « ماذا تريدان من هذه الجزيرة ؟ إن جولاتنا فيها لم تتجاوز خمسين مترًا فقط .. يُقال إنها مسكونة وأن بها أشرّ قبائل الأقزام .. حقًا لا يوجد ما يُغرى .. »

قالت (عبير) فى ضيق وهى ترمق حاجز الأشجار :

ـ « لن يطالبكما أحد بالتوغل هاهنا .. ستبقيان حيث أنتما ، بينما أدخل أنا والبروفسور .. »

مدّ النحيل يده فى فتحة قميصه ، عندها عرفت (عبير) أن ما حسبته كرشًا صغيرًا لم يكن سوى بعض أصابع الموز ، وبعض ثمرات .. يبدو أنه لم يضع وقته حين كانت فاقدة الوعى ..

طوّح لها إصبعًا .. وللبروفسور إصبعًا .. بالطبع ارتطم الأخير بصدر البروفسور وهوى عند قدميه ..

قالت (عبير) وهى تقشر الإصبع الخاص بها :

ـ « هذا مطمئن .. مم م م ! إنه بلا مذاق ! »

ـ « كل فواكه المنطقة الاستوائية بلا مذاق .. إن الحرارة الشديدة تقضى على النكهة تمامًا .. »

ـ « لكنه يقضى على الجوع على كل حال .. »

ونظرت إلى البروفسور متسائلة :

ـ « هل نذهب إذن يا بروفسور ؟ »

★ ★ ★

طبعًا نذهب ..

الآن يخترقان نطاق الأشجار الكثيف ..

تنظر للوراء لترى البحّارين متربعين على الرمال يلتهمان الموز .. يبدو أنهما سيقضيان وقتًا طيبًا حتى الغد بعيدًا عن أنياب القبطان (هورتون) الرهيب ..

لم تكن (عبير) تفهم فى النباتات ، لكنها اندهشت لرؤية الأشجار الراقدة على جذورها الطويلة الممتدة كأنما رجال يرقدون على جنوبهم مسترخين ، إنها أشجار (المنجروف) التى تترعرع جذورها فى

التربة التى غمرها المدّ .. ولها لون أحمر قاتم كأنها خشب (الماهوجنى) ..

أما الأوراق الخارجة من الطين ، فهى ـ فى الواقع ـ خارجة من سوق قصيرة جدًا .. والنبات كله يُدعى (نخيل نيبا) ، ويوجد قرب الشواطئ حيث توجد أشجار (المنجروف) ..

إن الأدغال هنا معرض لكل أنواع أشجار النخيل .. لو كانت (عبير) أكثر علمًا لعرفت أشجار الكافور ، وشجرة (وارانجن) التى يقدسها القوم فى هذه الأصقاع .. لكنها كانت تعتقد أن كل هذه الأنواع تندرج تحت اسم واحد كبير : النخيل .. أما ما عدا هذا فنوع من أنواع الحذلقة ..

راحا يمشيان فوق الأعشاب ، وصوت لهاث البروفسور يتعالى مختلطًا بنحيبه .. فهو لم ينس عويناته الثمينة بعد ..

فجأة شعرت بأنها تجد صعوبة معينة فى السير ..

كان هناك شىء شبيه بنهر على مرمى البصر ، والأرض مكسوة بأوراق الشجر ..

واصلت المشى .. لكنها الآن تأكدت دون ريبة من

أن قدميها حقًا ملتصقتان بالأرض .. ملتصقتان بشكل لا يمكن وصفه فضلاً عن الفرار منه ..

نظرت إلى البروفسور ، فوجدته فى حالة أسوأ .. كان ينظر لقدمين لا يراهما ، لكنه عاجز عن تحريكهما ..

ما هذا المكان ؟ ما هذه الأرض ؟

كان هذا حين سمعت صوت زئير ..

★ ★ ★

ورأته قادمًا من بعيد ..

لم يكن يركض أو يرمح أو يثب .. حقًا لم يكن بحاجة لأن يتعجل شيئًا .. لماذا يفعل ؟ إنهما واقفان كذبابتين فى شباك عنكبوت ؛ عاجزين عن الحركة أو التملص ..

هو ذا يدنو منهما فى تؤدة ..

النمر الآسيوى بجسده المكتنز الرجراج قليلاً ، تلتمع فى ضوء الشمس خطوطه النحاسية والسوداء ، وفراؤه الجميل يشى بصحة جيدة وتغذية أجود .. عيناه اللتان يمكن أن تقتلا بمجرّد النظر إليهما ..

هو ذا يدنو فى تؤدة ..



انتزع قائمته الأمامية وحركها أمام وجهه ، وكان هذا كافيًا كى يزيد الأمور سوءاً ..

صوت الحشرجة الدسم من حباله الصوتية القوية .. صوت اللهاث الوحشى .. خطوات الواثق من قوته ومن فوزه ..

لم تجد (عبير) فى صدرها من الهواء ما يكفى للصراخ ..

وفى اللحظة التالية فقد النمر وقاره .. لقد مشى فوق أوراق الشجر مثلهما ، وسرعان ما بدا أنه يعانى المشكلة ذاتها .. لقد التصقت أقدامه بالأرض ، وراح يحاول التملص .. انتزع قائمته الأمامية وحركها أمام وجهه ، وكان هذا كافيًا كى يزيد الأمور سوءًا .. لا بد أن المادة اللاصقة قد أعمته نهائيًّا ..

هنا فقط راح يزأر .. وكأن زئيره مريعًا يقترن بصوت عميق كأنه المواء .. مواء قط عملاق فى مأزق ..

★ ★ ★

المشهد الآن غريب بعض الشىء :

(عبير) والبروفسور يقفان مترنحين ، يحاولان جاهدين ألا يسقط أحدهما فتلتصق يداه بالأرض ، وتلك المادة الكريهة ..

وعلى بعد عشرة أمتار يقف العملاق الثائر يحاول التملص دون حذر ، ومن الواضح أنه يزداد تورطًا فى كل لحظة ..

هنا تذكَّرت (عبير) هذا المشهد .. لقد قرأت شيئًا مماثلاً من قبل ..

هتف للبروفسور المذعور :

- « هذا فخ للنمور ! لقد وقعنا فى فخ للنمور ! »

قال فى غباء وهو يمدّ ذراعيه طلبًا للاتزان :

- « فخ نمور ؟ لا توجد حفرة ولا رماح ولا شىء من هذا القبيل ! أنت تمزحين ! »

- « بل هو فخ نمور ! النوع السائد فى (الملايو) .. إنهم ينثرون (الدبق) اللزج الذى يستخرجونه من الأشجار ، فى طريق النمور فى أثناء اتجاهها إلى الماء لتشرب .. فلا يبقى أمام الحيوان سوى أن ينتظر نهايته بالرماح .. »

- « إذن سيجدنا أحدهم ويحررنا .. »

روررررررررر !

كانت هذه صيحة نمر نجح فى التحرّر ، ووثب وثبة عاتية نحوهما ..

* * *

٦ - شبح ..

بالطبع لم يستطع النمر الوصول إليهما ، لكنه سقط على بعد مترين من موضعهما ، وراح يتلوى وسط الصمغ أو الدبق .. إنه متحمس ، ووثبته التالية لن تحرّره ، لكنه سيصل لمكانهما ، وسيكون من السهل عليه أن يقضم جزءًا ما من أحدهما !

إن عضلاته القوية وشراسته تتيح له بعض القدرة على التحرّر ، أما هما فغير قادرين على الحركة ولو بضعة سنتيمترات ..

هنا سمعت (عبير) حوافر الفرس ..

فرس أبيض بالطبع .. هكذا يكون صوت حوافر الفرس الأبيض ..

نظرت للوراء فرأت المشهد الذى بدا لها مألوفًا إلى حدّ لا يصدَّق ، وإن لم تستطع تذكر أين رأته من قبل .. كان الحصان الأبيض يرمح حول الرقعة التى عرفا أنها فخ للنمور ..

أما راكب الحصان نفسه فيستحق وقفة .. كان ملثمًا .. لا كلثام الطوارق ، ولكن يرتدى بزة مطاطية كاملة من رأسه حتى قدميه .. بزة من الطراز الذى يرتديه أبطال القصص المصوّرة ، لونها ظلّ ما بين البنفسجى والأزرق .. رأسه مغطى حتى العينين بالقناع ، وتصميم القناع كله رهيب يذكرك بالجمجمة .. الشبح !

★ ★ ★

أين قرأت أول وآخر قصة له ؟ ربما فى إحدى المجلات المصوّرة التى كانت تطبع بغزارة فى (بيروت) .. وهى - بالطبع - مجلة مترجمة .. لم يبق فى ذاكرتها من القصة سوى صورته التى تراها الآن ..

إنه حارس الأدغال مثله مثل (طرزان) .. لكنه يحرس أدغال (الملايو) لا أدغال (إفريقيا) ، ويحرسها لغرض واحد هو الانتقام ..

هو قريب - من وجهة نظر أخرى - إلى الرجل الوطواط (باتمان) .. فهو مثله يرتدى بزة لا تظهر ملامحه ، ومثله قوى العضلات شديد المراس خارق الذكاء ..

وككل أبطال القصص المصورة الخارقين ؛ له شخصية سرية لا يعرفها أحد سواه وخادمه الأمين ..

حقًا لا تذكر أية تفاصيل أخرى ، لكننا نذكر الكثير ..

لقد ابتكر (لى فالك) شخصية (الشبح) فى فترة الأزمة الاقتصادية ؛ وهى ذات الفترة التى خرجت فيها للوجود شخصيات مثل (سوبرمان) و(باتمان) وسواهما .. لكنها لم تظفر قط بذات نجاح هاتين الشخصيتين ..

الآن يبدو أن (الشبح) هو بطل هذه القصة ..

ولد (لى فالك) فى ولاية (ميسورى) بـ (الولايات المتحدة) عام ١٩١٢ .. وفى سن العشرين عمل بالصحافة فى مجال غريب بعض الشىء : تأليف القصص المصوّرة (الستريبس) للصحف اليومية ..

إن (ماندريك) الساحر شخصية لم نعرفها فى (مصر) ، لكنها حققت شهرة كبيرة فى (الولايات المتحدة) .. شخصية تجمع بين الدهاء والغموض ، وتلتقى عندها خيوط عديدة من (أرسين لوبين) و(شيرلوك هولمز) ..

ثم ولد (الشبح) فى ٧ فبراير عام ١٩٣٦ ، وكان المؤلف فى الرابعة والعشرين من عمره وقتها ، ونال نجاحًا لا بأس به بتلك الشخصية التى رسمها الفنان (راى مور) فى حلقات مسلسلة يومية ..

التصور الأصلى لشخصية (الشبح) جعله هو (جيمى ويلز) .. الثرى العابث الذى يرتدى قناعًا فى الليل ، ويخرج ليحارب الجريمة ..

لو بقى (الشبح) هكذا لما ميزه شىء عن شخصية (باتمان) أو الرجل الوطواط .. لكن (لى فالك) قرّر - فجأة - أن ينقل (الشبح) إلى الأدغال فى مغامرات ذات طابع خاص تمامًا ، وفى هذه المرّة تلاقت فى (الشبح) خيوط عدّة من (كتاب الأدغال) لـ (كيبلنج) ، و (طرزان) لـ (بوروز) .. وكلاهما محبب أثير لدى (فالك) ..

يجب أن نقول هنا إن (فالك) لم يثق قط بقدرة (الشبح) على الاستمرار أكثر من عام أو عامين ، وراح يؤمن مستقبله عن طريق إخراج المسرحيات ..

لكن (الشبح) عاش طويلاً جدًّا .. ربما ليس بشهرة زملائه فى المهنة (سوبرمان) و (الوطواط) ،

لكن هناك الكثيرين ممن يجدونه جديرًا بحق أن ينضمّ إلى (فانتازيا) ..

★ ★ ★

لم يتردّد (الشبح) كثيرًا ..

رفع يده اليمنى ، والتمع المسدس فى ضوء الشمس ..

ثم .. بوم ! اهتز جسد النمر للحظة ، ثم هوى يتشحط فى دمائه .. ومن جديد عاد (الشبح) يدور بحصانه حول الأسيرين ، وعرفت (عبير) أنه يفكر فى الطريقة المثلى لإنقاذهما ..

سألها البروفسور وهو لا يكاد يبصر شيئًا :

- « ماذا يحدث ؟ هل يطلقون علينا الرصاص ؟ »

لم تردّ وراحت تفكّر بدورها فى طريقة لمساعدة الرجل ..

أخيرًا وثب مترجلاً ، واتجه إلى الشجيرات الكثيفة فى الجوار ، وراح يخصف من أوراقها فيبعثرها على الأرض مرارًا ، صانعًا ممرًا يمكن المشى فوقه دون أن يلتصق الدبق بحذائه ..

دنا منها ، فمدّ يدًا قوية فولاذية وجذبها .. جاهدت

لتحرر نفسها حتى استطاعت أن تضع قدمها العارية على الممر الذى صنعه ..

ثم عاون البروفسور على الشىء ذاته ..

هرعت (عبير) تركض خارجة من تلك المصيدة الكريهة ، وأدركت أن قدمها صارت تزن طنًا من كثرة ما التصق بها من أوراق شجر ..

- « لا تقلقى .. »

قال لها بصوت بارد صارم لا انفعال فيه .. وأردف :

- « بعض الماء الساخن سيحلّ المشكلة .. »

وأخيرًا وقفت (عبير) والبروفسور يلهثان ..

قال (الشبح) وهو يغادر المنطقة الخطرة بدوره :

- « إنها مصيدة نمور صنعها أقزام (الباندار) ببراعة .. ولا بد أن من يمشى فيها كل هذه المسافة أحمق ، أو يجهل كل شىء عن أدغال (الملايو) .. »

- « نحن الاثنان معًا .. »

ومدّت يدها تصافحه :

- « (ديانا بالمر) صحفية .. (لوس أنجلوس) .. »

لكنه لم يمدّ يده .. ظلّ يرمقها بوجه صلب كالصخر من وراء قناعه الذى يدارى انفعالاته ، ومن دون

كلمة أخرى وثب ليمتطى حصانه الأبيض ، ووكزه بحذائه :

- « هيا يا (هيرو) ! »

فانطلق الحصان يسابق الريح مبتعدًا ..

سألها البروفسور :

- « ماذا حدث ؟ من هذا ؟ »

ظلت ترمق الجهة التى توارى فيها الرجل ، وغمغمت فى شرود :

- « لا أدرى .. لقد جاء ورحل كأنه .. كأنه شبح ! »

★ ★ ★

٧ - وشيطـــــان ..

كانت ضربات الرفش الآن تعمل فى طبقة الغبار الملامسة لغطاء التابوت مباشرة ، وأحسّت أنها تحرّرت من كل ما كان يجثم فوق روحها .. ثم سمعت صوت شىء يحاول انتزاع المسامير ..

كأنه خنجر مغروس بين الغطاء والتابوت نفسه يحاول تهشيم الغطاء ، أو إرغامه على الانفتاح عنوة ..

راحت تعاونه بتوجيه ركلات بمشط قدمها إلى الغطاء ..

أخيرًا استطاعت أن ترى الشمس ، وأن تسمح للهواء الشهى بأن يملأ رئتيها .. واستعدّت لترى مخلصها ..

لكن الوجه الذى كان منحنيًا على التابوت لم يكن وجهه .. كان وجه (كابى سنج) نفسه !

★ ★ ★

وتعود بذاكرتها إلى ما حدث بعد ما رحل (الشبح) ..
قال لها البروفسور وهو يتمطى :
- « أحتاج إلى النوم بعض الوقت .. »
فى غيظ هتفت :
- « لا وحياة والدك .. إن هذه الجزيرة خطرة حقًا ، وأعتقد أن علينا البحث عن كنزك هذا بأسرع ما يمكن ، ثم نعود أدراجنا .. »
- « جميل .. لكن كيف ؟ »
- « أعطنى ورقك ، وسنحاول معًا .. »
مدّ يده فى صدر قميصه ، فأخرج لفافة من الجلد يبدو أنها مثبتة برباط حول جسده ، ومنها أخرج بعض الأوراق البهيجة ؛ منها المتآكل ومنها المصفرّ ، ومنها المحترق ..
ودون كلمة أخرى ناولها لـ (عبير) ..
قالت وهى تجاهد كى لا تتفتت الأوراق بين أناملها :
- « كل هذا جميل .. لكنى لا أفهم حرفًا من الهولندية .. »

ـ « حاولى أن تتهجى الحروف لى .. وعلى كل حال ستجدين كثيرًا من الرسوم هاهنا .. صفيها لى .. »

راحت تتأمل الأوراق ، وفى شرود قالت :

ـ « هذه هى خارطة (الملايو) والبقعة الحمراء التى تشير للجزيرة .. وأظن هذه هى خارطة الجزيرة نفسها .. هو ذا نطاق الأشجار الذى عبرناه .. ثم .. غريب هذا ! أرى نهرًا صغيرًا .. لا بد أنه النهر الذى قصده النمر ليشرب .. ثم .. هذا شىء يشبه وجه إنسان عملاق .. »

ـ « بل جمجمة يا آنسة .. كهف يشبه الجمجمة .. »

ـ « ربما كما تقول .. أما هذا فشىء يشبه الشلال .. وعدد من علامات (×) لا حصر له .. ثم .. علامة P8 .. »

قال وقد بدأ يتذكّر :

ـ « نعم .. نعم .. P8 هى الرمز القديم للمال ومنها جاء رمز الدولار المعاصر ، أما الـ (×) فهى خطوات .. طبعًا غير صحيح أنه لا حصر لها .. بالتأكيد لها حصر .. تأكدى من هذا .. »

مدّت سبابتها تعدّ .. عشرة .. عشرون .. خمسون .. ثم أعلنت :

ـ « مائتا خطوة للشمال .. ولكن لماذا ترسم الروح التى استحضرتها هذه الخريطة الملغزة ؟ كان بإمكانها أن تنصحنا بالمشى مائتى خطوة للشمال وينتهى الأمر ! »

ـ « هى ليست طريقة مثلى لرسم أماكن الكنوز .. الكنز يوجد دائمًا عند علامة (×) .. لا بد من اتجاهات أصلية ، ولا بد من كهف ، ومن شجرة عملاقة .. هذه هى التقاليد .. وحتى الروح إذ أملت الخارطة على الوسيط لم تجرؤ على مخالفة القواعد ! »

قالت وهى تدس الأوراق فى ثيابها :

ـ « حسن .. البداية إذن هى الشلال .. هل يوجد شلال هنا ؟ »

★ ★ ★

طبعًا يوجد شلال ..

من قال إن هذه الجزيرة غير متقدمة إلى حدّ ألا يوجد بها شلال ؟

وعلى الجرف العالى راحت (عبير) والبروفسور يرمقان المياه الهادرة من تحتهما .. كوحش عملاق ثائر ..

هدير المياه من أسفل يصمّ الآذان .. يقول بأعلى صوته لمن يحاول النزول هاهنا :

ـ الويل لك !

ابتلّ شعرها وابتلت ثيابها .. لكنها احتفظت بشىء من وضوح الرؤية كى تدرك أن علامات (×) على الخارطة بدأت بعد الشلال لا قبله ..

وللبروفسور الذى لا يرى شيئًا قالت صارخة :

ـ « بروفسور .. لا بد من عبور هذا الشلال ! »

ـ « مستحيل ! لكن الهولنديين عبروه يومًا .. »

ـ « ربما لم يكن شلال هنا فى القرن السابع عشر .. »

صاح فى غيظ كأنما يسمع إلحادًا مخيفًا :

ـ « بلهاء ! لا يمكن أن يُخلق شلال فى قرنين .. إن تغيرات جيولوجية كهذه تحتاج إلى ملايين السنين .. »

ـ « حقًا .. ربما ..... »

ثم رأت الجسر العملاق المعلّق فوق الشلال ..

كان ـ ككل هذه الجسور ـ مصنوعًا من حبال ليفية مجدولة .. يشبه فى مقطعه حرف (V) اللاتينى ، حيث يمكنك المشى فوقه واضعًا قدمك على الزاوية السفلى لحرف (V) ، بينما ترتكز يداك على ما يشبه (الترابزين) يصنعه الطرفان الآخران للحرف ..

الخلاصة أنه كان يبدو مرعبًا جدًا ، هشًا جدًا ، والحماقة ذاتها فى صورة جسر ..

ابتعلت ريقها وهمست عالمة أنه لن يسمعها :

ـ « يوجد حل .. لكنه عسير حقًا .. »

ترى هل تعبر ؟

★ ★ ★

فى كهف الجمجمة جلس (الشبح) وسط المشاعل العملاقة المحيطة به ، يتصفح مجلدًا ضخمًا مغبرًا من مجلداته الهائلة ..

المكان رهيب تلعب فيه الظلال المتراقصة لعبتها المخيفة .. وفى كل مكان تجد جمجمة ما : شعار الجمجمة على صدر بزّته .. شعار الجمجمة على حذائه وفى حزامه .. جماجم عديدة وضعت شموع فى محاجرها مما جعلها تبدو كأن الشرر ينبعث منها ..

الجمجمة .. رمز الموت الرهيب .. الضحكة العابثة المستهترة التى تسخر منا لأنها رأت السرّ الذى لم نره نحن ..

دخل خادمه (جوران) الأمين .. زعيم أقزام (الباندار) الذى لم يفارقه لحظة منذ أن قرر أن

يمارس مهنته الغريبة .. قليل من الناس يختار مهنة (الشبح) ، والأسوأ أنه لا يمكن تعليمها فى المدارس أو قراءتها فى الكتب .. على كل شبح أن يعلم نفسه بنفسه ..

قدّم له الشراب ، طبعًا فى كوب خزفى على شكل جمجمة .. فرشف (الشبح) جرعة كبيرة منه ، وتنهّد :

- « شكرًا يا (جوران) .. »

ثم أردف :

- « أحمقان آخران فى الجزيرة يبحثان عن كنز القراصنة .. »

- « وهل يعرفان مكانه ؟ »

- « لا أدرى ، ولم أنصحهما بشىء .. لكنى رأيتهما فى مأزق وأنقذتهما منه .. واضح أنهما يجهلان كل شىء عن أدغال (الملايو) ، ومن العسير أن يعيشا حتى المساء .. »

- « ولِمَ لم تنذرهما يا سيدى ؟ »

تنهّد (الشبح) فى سأم :

- « لو أنذرت كل أحمق لما بقى لدىّ وقت أفعل فيه شيئًا آخر .. »

هنا دوّى صوت زئير .. واقتحم المكان ذئب أبيض عملاق كث الفراء ، له منظر مهيب مخيف فاخر .. »

- « ماذا وراءك يا (ديفل) ؟ »

كان (ديفل) — ومعناها الشيطان — ذئبًا رضيعًا حين قتل أحد الصيادين أمه .. وبعدها أخذ (الشبح) الرضيع وتولّى تربيته حتى شبّ ذئبًا مهيبًا له احترامه ..

وبالطبع كان (ديفل) كلبًا مخلصًا وديعًا مع صاحبه ، لكنه بالنسبة للآخرين ذئب قادر على قطع الرقاب بأنيابه ..

كان (ديفل) يزأر .. يعوى بتلك الطريقة المثيرة للشفقة لدى الكلاب ، ثم يشير لباب الكهف بجذعه ملهوفًا فى رسالة واضحة ..

- « إنهما فى مشكلة .. »

قالها (الشبح) وهو ينهض ، ويغلق حزامه حول خصره ..

- « لقد كلفت (ديفل) بمراقبتهما حتى إذا وقعا فى متاعب ...... »

وفى الثانية التالية كان يثب إلى ظهر حصانه الأبيض (هيرو) ، ويجذبه من لجامه كى ينطلق خلف الذئب ..

كان (ديفل) يزأر .. يعوى بتلك الطريقة المثيرة للشفقة لدى الكلاب ، ثم يشير لباب الكهف بجذعة ملهوفًا فى رسالة واضحة ..

صاح (جوران) وهو على باب الكهف :

- « لكنه ميعاد الغداء .. ستبرد السحالى المسلوقة ! »

- « إننى اليوم أشتهيها باردة ! »

وسرعان ما توارى وسط الأشجار ، وحصانه يحاول أن يلحق بالذئب الأبيض المتحمس ..

حين تلاشى صوت الحوافر هزّ (جوران) كتفيه ، ولعق شفتيه :

- « ليكن يا صاحبى .. لكنى لن أنتظرك على كل حال .. إن معدتى تتلوى ! »



٨ - أحمقــــان !

كان المشهد بهيجًا حقًا ..

هو ذا (كابى سنج) البدين المغطى بالشعر والوشم والجروح ، يقف أمامها يتأملها بعينه الوحيدة السليمة ، بينما العصابة السوداء على العين الأخرى تختلج طربًا ..

حوله رجاله من الأوغاد .. منهم من يحمل تحت المعصم خطافًا ، ومنهم من يستخدم طرف خنجره لتسليك أسنانه ، ومنهم من يحشو مسدسه عتيق الطراز (غدّارته) ، أو يعيد ربط منديل رأسه المرقط ..

كان (كابى سنج) - ككل القراصنة - عارى الجذع إلا من حزامى رصاص يتقاطعان فوق صدره ، وعلى رأسه قبعة القبطان التى تحمل صورة الجمجمة والعظمتين المتقاطعتين ..

ولكن .. لقد سمعت صوت (ديفل) يعوى ؟

ونظرت إلى الوراء فادركت أن العواء لم يكن

لـ (ديفل) .. إنه الكلب الأسود الخاص بـ (كابى سنج) ، والذى يتفاءل به رجاله كتميمة حظ ..

لقد فرّت من المقلاة إلى النار ، ولن تكون لحظاتها ممتعة مع هؤلاء السادة أبدًا ..

قال لها (كابى سنج) وهو يبصق السعوط الذى كان يمضغه :

- « لقد عانينا كثيرًا حتى وجدنا قبرك يا (آنصة) .. إن (ساتان) كلبى الأثير قد هدانا لموضعك .. »

ثم لفّ خصلات شعرها حول قبضته :

- « الآن أنت مدينة لنا بحياتك ! »

- « حقًا ! الحق ما قال .. هى هى هى ! »

دوّت صيحات الاستحسان مصحوبة بضحكات خبيثة ..

قال (كابى سنج) :

- « إن (جو الخطاف) معجب بك جدًا ، وكان يرجو أن يرقص معك لثلاث دقائق .. لست ميالاً لهذا لأن الوغد يحمل خطافين حادّين بدلاً من اليدين ، ومعنى رقصة معك هو تحويلك إلى شرائط رقيقة .. لكنى لن أحتفظ بحماستى هذه للأبد .. »

فى حماس قرع (جو الخطّاف) خطافيه معًا ، محدثًا رنّة معدنية :

- « أرجوك ألا تمانع كثيرًا يا قبطان ! »
تراجعت للوراء مذعورة ، وتساءلت :
- « ما هو المقابل الذى تريده لتبعد هذا الحيوان عنّى ؟ »
- « يا له من سؤال ! »
ونظر للرجال حوله ، وانفجر ضاحكًا :
- « هو هو هو هو ! (الآنسة) تسأل عن المقابل يا شباب ! »
- « هو هو هو هو هو ! »
شرع الرجال يقهقهون كأنها دعابة أقوى مما تتحمل أنفاسهم ، وفى النهاية حين استطاع (كابى سنج) الكلام قال لها :
- « نريد الكنز طبعًا .. كنز آبائنا ! »

★ ★ ★

وعادت (عبير) برغمها تتذكّر ما حدث لها والبروفسور عندما قررا عبور الجسر المعلق فوق الشلال ..
تقدمت هى أولاً لأن البروفسور لا يرى .. إنه حظها العاثر .. المفترض فى هذه القصص أن يكون

الرجل أقوى وأحكم ، وأن يحميها .. لكن الرجل هاهنا يريد متاعبها فقط ..
مدّت يدها له حتّى وضع قدمه اليمنى على الحبل ، وتشبثت يداه بالجانبين ثم حرّرت يدها ، وراحت تتحسس الحبل الغليظ الذى تضع قدمها عليه .. كان أضيق من أن يسمح إلا بقدم فى كل مرّة ..
تتقدّم ببطء ، وترتجف ..
ومع رجفتها يزداد اهتزاز الحبل بشكل مروّع ..
كانت تعلم أن ما يقومان به هو الغباء بعينه .. المفترض أن يتقدّم أحدهما وينتظر الآخر على الحافة تحسبًا لحدوث شىء ، وليمكنه إنقاذ الآخر .. لكن البروفسور لا يصلح للانتظار ، ولا يصلح للتقدم وحده ..
فلتأمل فقط أن يكون صانع هذا الجسر يعرف ما يفعله ..
ونظرت لأسفل لترى الهول ذاته ..
الشلال الغاضب الثائر من تحت قدميها ، ينتظر سقوطها ويتلمظ شوقًا .. ويبدو أنها لن تخيب أمله ..
الآن هما فى منتصف المسافة بالضبط ..

لقد صار تقوس الجسر لأسفل تحت وطأة ثقلهما مريعًا جدًا .. لا بد أنهما انحدرا لأسفل عشرة أمتار كاملة .. سيكون الأمر أكثر عسرًا كى يصلا للطرف الآخر ..

وهنا رأت لدهشتها شيئًا يقف عند طرف الجسر القصىّ ..

بعينها الحادة رمشت مرارًا لتدرك أنه قرد .. قرد من نوع إنسان الغابة كالذى رأته فى حديقة حيوان (الجيزة) يومًا ما .. وكان فى يده شىء يلمع ..

صاحت وهى ترتجف :

ـ « قرد عملاق ! إنسان غابة ! »

اصطدم البروفسور بظهرها ، فتذمّر بالألمانية ، ثم قال بلهجته المضحكة :

ـ « (أورانج أوتان)(*) .. وماذا فى ذلك ؟ إنه يعيش فى هذه الجزر ، وإن كان لم يُوصف قط خارج (بورنيو) و (سومطرة) .. إنه قوى لكنه ليس مولعًا بالإيذاء .. »

(*) بلغة (الملايو) معنها (إنسان الغابات) ..

ـ « هذا القرد لا يعرف هذه الحقيقة العلمية ! »

ـ « لماذا ؟ »

ـ « لأنه يحمل سيفًا عملاقًا ، وينوى قطع الحبل ! »

★ ★ ★

الحق نقول كان الحبل صلبًا وسميكًا للغاية ، واحتاج القرد إلى خمس ضربات بالسيف كى يقطعه ..

خمس ضربات لا يقطعها سوى صراخ (عبير) عديم المفعول من طراز :

ـ « توقاااف ! يا أحمااااق ! ستقتلناااا ! »

انقطع الحبل الذى يمشيان عليه ، ثم وجه القرد ضربتين مدروستين للحبلين اللذين يتشبثان بهما ..

وفى اللحظة التالية هوى الجسر بمن عليه ليتدلى فى الهاوية ، فوق الشلال .. ثم يصطدم بالطرف الآخر الذى جاءا منه ..

ونظرت (عبير) فوق رأسها إلى حيث يفترض أن يكون البروفسور فلم تجده ..

كانت معلقة وحدها من الحبال التى تتدلى فوق المياه الهادرة .. إنه الموقف الشهير الخاص بالجسور المعلقة ، والذى يذكره جيدًا كل من رأى (إنديانا

جونس والمعبد الملعون) حيث اعتصر (سبيلبرج) كل إمكانيات هذه الفكرة العتيقة ، الساحرة برغم ذلك ..

لكن ليس من رأى كمن عاش الموقف !

ـ « النجدااااااااه ! »

صاحت وهى تنظر لأعلى .. من العسير أن تتسلق الحبل حتى لو أرادت .. ولربما ظلت هاهنا إلى يوم يبعثون مالم تقرّر التخلى عن الحبال ..

وجاءت النجدة فى آخر لحظة ، وكانت لها صورة غريبة بعض الشىء ..

قرد عملاق آخر يحمل سيفًا !

وفى هذه المرة كان مهتمًا بطرف الحبل الذى تتدلّى منه ..

ـ « النجدااااااه ! »

لكنه بدأ يوجه ضرباته للحبل ..

★ ★ ★

انطلقت رصاصة واحدة ..

بعدها هوى الجسد العملاق المشعر ليمرّ على بعد أمتار منها ، ولم تحاول أن تنظر لأسفل لترى الوقت الطويل الذى سيستغرقه فى السقوط ..

من أطلق عليه الرصاص ؟

رفعت رأسها لأعلى فرأت الرأس الشبيه بالجمجمة إياه ، وكان عاكفًا على تمزيق الحبل بدوره .. تبًا ! لقد صارت هذه هواية الجميع فى الآونة الأخيرة ..

صرخت بصوت مبحوح :

ـ « كفَّ يا مخبول ! إنك ستقتلنى ! »

اكتفى بأن قال وهو يربط أشياء بأشياء :

ـ « تشبثى جيدًا يا (آنسة) ! »

وفى اللحظة التالية أدركت أنها ترتفع وترتفع وترتفع ..

أخيرًا رقدت على الأرض تلهث ، عاجزة عن ترك الحبل فقد تقلصت يدها عليه ، وحين استطاعت رفع عينيها ؛ رأت (الشبح) واقفًا وجواره ذئب أبيض مخيف يلهث بلا انقطاع ، وأدركت أن الحبل مربوط حول عنق الحصان الأبيض ..

هو الذى جرّها ليخرجها من الهاوية ..

سألها وهو يعينها على النهوض بيد فولاذية :

ـ « أين البروفسور ؟ »

أشارت لأسفل بعبارة بليغة جدًا ..

ثم .. من قال لك إنه بروفسور ؟ أنا لم أناده أمامك قط ..

قالتها بفكرها دون لسانها .. لأنها فى هذه اللحظة كانت تقوم بالعمل الذى تجيده أية أنثى تم إنقاذها من السقوط فى شلال ..

فقدت الوعى ..

★ ★ ★

٩ - فى كهف الجمجمة ..

عندما ساد الظلام ؛ قام (الشبح) بالعمل الذى يمارسه مرارًا فى كل شهر ..

اتجه إلى الشاطئ حيث لم يكف البحر لحظة عن الهدير ، وحيث بدت الأمواج السوداء كأنها أشباح ترقص فى معاطفها السود ، بانتظار المخبول الذى يشاركها رقصها ..

كان الحبل الغليظ مثبتًا بخطاف إلى صخرة عالية ..

وفى ثوان تعلّق به بأطرافه الأربعة ، وراح يزحف زحفًا مبتعدًا عن الشاطئ مرتفعًا عن المياه قدر الإمكان .. صحيح أن الموج كان عاتيًا .. صحيح أن المياه كانت ترتطم كالجلاميد بجسده فى كل ثانية مهددة باقتلاعه من الحبل .. صحيح أن ميلاً كان يفصله عن نقطة اللقاء ..

لكنه كان يعرف كيف يظل حيًّا .. ربما لهذا صار اسمه (الشبح) ، وربما لهذا صار بطلاً للقصص المصوَّرة ..



وثب ليهبط من فوق الصخرة ، ونظر حوله .. كان شبح السفينة يقف مسربلاً بالظلام فى أحد الخلجان ..

يا لها من ملحمة رائعة ! صراع الطبيعة مع العضلات .. صراع الأمواج مع إرادة عاتية وشجاعة لا تصدَق ..

كان يعرف الجزيرة جيدًا .. يعرف أن اختراق حاجز الصخور والأمواج مستحيل إلا بهذه الطريقة .. لا أحد يصل إلى (بنجلا) إلا غريقًا ..

★ ★ ★

أخيرًا وصل إلى الطرف الثانى القصىّ للحبل ..

كان مثبتًا بدوره إلى صخرة شامخة تشبه جبلاً صغيرًا ..

هناك كانت جزيرة صغيرة تقف وسط المياه التى بدأت تصفو وتهدأ .. لقد ابتعدنا ميلاً عن الجزيرة ..

وثب ليهبط من فوق الصخرة ، ونظر حوله ..

كان شبح السفينة يقف مسربلاً بالظلام فى أحد الخلجان ، بينما على الجزيرة الصغيرة نار تتراقص فى جنون لكنها لا تنطفئ أبدًا ..

دنا أكثر من النار ليرى الكابتن (هورتون) جالسًا يصطلى ، وكان وحيدًا كما هو فى كل مرة ..

مبهرًا قال الكابتن :

- « يا لها من طريقة لمغادرة ودخول الجزيرة ! لن أعتادها أبدًا مهما رأيتك تفعلها ! »

والحقيقة هى أن مدّ ذلك الحبل كان مستحيلاً دون معونة كابتن (هورتون) ، فهو الذى ثبت طرفه إلى هذه الصخرة ، بعد ما استطاع (الشبح) بمعجزة ما اجتياز الأمواج والصخور ليثبت الطرف الآخر فى الجزيرة ..

ومن يومها صار (الشبح) قادرًا على مغادرة الجزيرة والعودة لها متى شاء .. وأحيانًا كان يذهب إلى المدينة ليمارس حياته كصحفى يُدعى (دك ووكر) .. لكن هذه المغامرة غير مذكورة هنا ..

قال (الشبح) وهو يجلس قرب النار جلسة (الاحتباء) التى تعلمها من أقزام (الباندار) :

- « لقد مات البروفسور اليوم .. »

- « حقًا ؟ يا للمخبول البائس ! والفتاة ؟ »

- « نائمة فى كهف الجمجمة الآن .. »

ساد الصمت هنيهة إلا من هدير الأمواج ، ثم تساءل القبطان وهو يشعل غليونه فى كثير من العسر :

- « هل وجدت معها خارطة الكنز ؟ »

- « لا .. ولست مهتمًا بالأمر .. إنه ذهب ملوّث ، ومن الخير له أن يبقى حيث هو .. كل ما أريده هو إقناعها بالرحيل حالاً .. »

ثم بلهجة لا تقبل المناقشة ؛ قال :

- « أريد منك أن تستعد للعودة غدًا معها .. »

- « ليكن .. ولكن .. لا أرى ما يمنع من أن تجرّب ما لديها .. »

لوّح (الشبح) بإصبعه فى وجه القبطان :

- « كابتن (هورتون) .. أنت تعرف أننى لا أبالى بالكنز .. وأعرف أنك مثلى .. لهذا اخترتك صديقى الوحيد .. فلا تغيّر وجهة نظرى هذه .. »

هزّ القبطان لحيته نافيًا بإصرار :

- « لا .. لا .. حاشا لله ! لكن (كابى سنج) لن يتركها وشأنها ما دام يحسبها تعرف .. »

- « تلك مهمتك أنت .. أن تعيدها سالمة إلى (لوس إنجليس) .. »

إن هذين الأحمقين لم يتصرفا بحذر .. تكلما بصوت عال فى الحانة وسمعهما الكثيرون من البحارة .. أخبار كهذه لا بد أن تصل لـ (كابى سنج) سريعًا جدًا .. وأصارحك القول إننى لهذا مسرور ! »

ابتسم القبطان ونفث الكثير من دخان غليونه :

- « سيفقد الحيوان حذره ! »

- « سيجيء هنا مسعورًا نهمًا .. وعندها يكون اللقاء الذى أتحرق شوقًا إليه منذ خمسة وعشرين عامًا .. »

ونهض على قدميه فى تحفز :

- « أنا له ! فقط احرص على إبعاد الفتاة .. إنها بريئة وليس من مصلحتها أن تقف بين الدبّ والأسد فى أثناء عراكهما .. »

- « لك هذا .. »

ودون كلمة أخرى تسلق (الشبح) الصخرة ، واحتضن الحبل بأطرافه الأربعة وراح ينزلق عائدًا إلى الجزيرة ..

عبر حاجز الأمواج الرهيب ..

★ ★ ★

فى الوقت ذاته كانت (عبير) تعيش أحلك ساعاتها ..

لقد صحت من النوم العميق لتجد نفسها فى أغرب مكان جال بخاطرها .. للحظة حسبت أنها ماتت وأن هذه هى جهنم ، ثم فطنت إلى أنها حية ..

هذا كهف .. كهف مظلم تضيئه مشاعل رهيبة لاتزيده إضاءة .. وفى كل صوب جماجم تتألق عيونها بالنار !

هناك مقعد عال شبيه بكرسى عرش ، لكن رأسه يزدان بجمجمتين مهولتين .. وأمام المقعد منضدة عليها مجلد عملاق مفتوح ..

ثمة شخص قادم ، يتوهج لحظيًا فى رقصة النيران ..

اعتدلت جالسة فى توجس ..

إنه قزم .. قزم بدائى يرتدى قبعة من الريش كالهنود الحمر ، يحمل لها صحفة عليها كوب لبن كبير ، ورغيف خبز منتفخ ، وكتلة مرعبة مشوهة من اللحم ..

أجفلت .. لكن وجهه قال إنه لا خطر منه ..

- « أين أنا ؟ »

لم يردّ .. فقط وضع الصحفة على الأرض أمامها وانصرف ..

هرعت وراءه لتجذب ذراعه .. ها سمعت زئيرًا غير محبّب للنفس .. نظرت عند قدميها فوجدت أن كتلة الفراء البيضاء هذه ، لم تكن سوى ذئب عملاق

نصف غافٍ ، وإن كان يرفع رأسه نحوها مكشرًا عن أنيابه فى إنذار واضح جدًا ، حركة أخرى وينتهى أمرك !

للوراء تراجعت فى ذعر ..

- « مـ .. من أنت ؟ مـ .. ما أنت ؟ »

لم يردّ طبعًا .. فالذئاب لا تردّ على الأسئلة الغبية ..

ربما لو استطاعت تشتيت انتباهه ..

مدّت يدها إلى الطعام الذى جلبه القزم ، وانتزعت ملء قبضتها من قطعة اللحم .. كوّرتها .. ثم قذفتها جواره ..

لكن الذئب - ذلك الوغد - لم يبد أى اهتمام بما ألقى إليه ..

صاحت متحببة :

- « كلب لطيف .. بوبى .. بوبى .. لحم شهى .. مم مم ! »

هنا سمعت صوتًا عميقًا رزينًا يقول :

- « لا تتعبى نفسك .. إن (ديفل) لا يحب لحم القرود أصلاً ! »

ونظرت للوراء مجفلة إلى الشخص فارع القامة الواقف عند مدخل الكهف ، فى ضوء المشاعل ..

كان هو (الشبح) ..

★ ★ ★

جلس فى وضع (الاحتباء) ، وأراح رأس الذئب على فخذه القوى ؛ وشرع يحك عنقه وأذنيه بتلك الطريقة العنيفة التى تحبها الكلاب .. بينما (عبير) ترمقه فى رهبة .. لم تره من قبل دانيًا إلى هذا الحدّ ..

كان قويًا بحق .. عضلاته ضخمة إلى حدّ جعل رأسه يبدو غير متناسب مع عنقه وكتفيه .. أما ما ظهر من وجهه فكأنما قدّ من صخر ..

وكان مخيفًا .. من العسير أن تصدق أنه كائن حىّ يرزق ..

سألته فى ارتباك :

- « أين أنا ؟ »

- « أنت فى كهف الجمجمة .. »

- « سجينة ؟ »

- « بل ضيفة .. أحيانًا نسجن الحمل لمنع الذئب من افتراسه .. »

- « أنت تعيش هنا ؟ »

- « نعم .. ولا أحد يعرف هذا الكهف سوى أقزام (الباندار) أصدقائى المخلصين .. أعتقد أنك قابلت (جوران) زعيمهم .. »

ثبتت (عبير) عينيها على وجهه الصلب ، وتساءلت :

- « وأنت .. من أنت ؟ »

★ ★ ★

١٠ ـ هكذا تكلّم الشبح ..

قال لها :

- « إن القصة تعود لزمن بعيد .. بعيد .. أحيانًا أحسبها من قبل أن تنفصل القارات عن بعضها ، وقبل أن تولد النجوم .. »

★ ★ ★

طفل مع أبيه على ظهر سفينة فى مياه (الملايو) .. إنجليزيان هما .. الأب تاجر مسالم طيب القلب ..

وفى ذلك اليوم كانا واقفين على ظهر السفينة ، يرمقان البحر الشاسع الممتدّ إلى ما لا نهاية ، وكانت وجهتهما جزيرة (سومطرة) ..

البحارة يغنون ، ويشدّون حبال القلاع ، والدنيا لم تكن قط بهذا الجمال وهذه البهجة .. بمعنى آخر : لا بد من مصيبة قادمة ..

ضاحكًا أشار الصبى إلى البحر :

- « ثمة سفينة تقترب .. »

وينظر الأب إلى حيث أشار الصبى .. فى الأفق الغربى يبدو طرف صارٍ ، وثمة علم يطلّ برأسه ببطء من تحت المياه .. أعنى طبعًا من تحت مستوى المياه عند الأفق ..

تناول الأب (التلسكوب) وثبته على عينه ، وراح يتملَّى ..

ـ « لم أر علمها بعد .. إن جنسيتها صينية على الأرجح .. إنها تدنو أكثر .. لحظة .. هأنذا أتبين .. إنها ..... »

كان المشهد المرسوم على العلم مألوفًا بعض الشىء ، ونراه كثيرًا جدًّا على زجاجات الدواء التى تستعمل من الظاهر ، ونراه حول مولدات الضغط العالى .. جمجمة تضحك ضحكة الموت المستهترة ، وعظمتان تتقاطعان تحتها ..

معنى هذا أن .....

ـ « أنها سفينة قراصنة ! »

كذا صاح الأب وهو يتراجع مذعورًا ..

ساخرًا قال القبطان وهو يدنو ليرمق البحر :

ـ « لم يعد قراصنة فى هذا الزمن ، ومنذ القرن السابع عشر .. »

ـ « هؤلاء لم يعرفوا هذا بعد ! »

ويتناول القبطان المرتاب (التلسكوب) ، ويمعن النظر مليًا ، ثم يأمر البحارة بزيادة سرعة الإبحار ، وتحويل الدفة إلى الشرق ..

ـ « إن هذا غريب .. لكنى أوثر الابتعاد على كل حال .. »

وتنطلق السفينة مبتعدة ..

لكنها فى ابتعادها تشبه حوت (الكبريت) العملاق إذ يفرّ من الحيتان القاتلة (أوركا) التى هى أصغر منه بمراحل .. سفينة ثقيلة بطيئة تفرّ من سفينة صغيرة لها سرعة الريح وإصرارها ..

أخيرًا يرون السفينة ويعرفون أنها غير مريحة المظهر على الإطلاق ، وسرعان ما قبلوا الحقيقة : سفينة قراصنة فى أوائل القرن العشرين لا تكف عن مطاردتهم ..

وتمّ الأمر بسرعة ..

خطاف يقذف من فوق السفينة المطاردة ـ بكسر الراء ـ ليتشبث بالسفينة المطاردة ـ بفتح الراء ـ وهكذا تدنو الأولى أكثر فأكثر .. ويتم وضع (الخشب على الخشب) كما يسميه البحارة ..

وعلى الفور انفتح باب الجحيم ليتدفق منه الأبالسة .. أشنع مجموعة من الرعاع والأفاقين والسفاحين ؛ بعصاباتهم وخطاطيفهم وغداراتهم وسيوفهم وسبابهم وقسوتهم ورائحتهم الكريهة ..

كل هؤلاء وثبوا إلى ظهر السفينة الضحية ، وأعملوا القتل والذبح فى طاقمها ..

الطفل يرمق كل هذا الصراخ من مكانه وراء قارب نجاة .. يرى كل هذه الدماء .. تتسع عيناه فرقًا ..

أما المشهد الذى حفر فى ذهنه للأبد ؛ فهو مشهد زعيمهم .. زعيمهم البدين ذو الجسد المغطى بشعر ووشم ، وعصابة سوداء على عينيه ..

كان يلوّح بسيف بتار غليظ ويتقدّم مطيرًا عددًا لا بأس به من الرءوس على الجانبين ..

وفى اللحظة التالية طار عنق أبى الصبى ، فلم يجد هذا ـ لحسن الحظ ـ وقتًا كافيًا كى يتألم ..

الألم كان من نصيب الصبى ، وهو يرى المشهد الذى سيُحفر فى ذهنه إلى يوم النشور ، ولسوف يصحو فى الليالى كلها صارخًا غارقًا فى العرق ، لأن

(كابى سنج) ـ زعيم القراصنة ـ قد قتل أباه ملايين المرات ..

★ ★ ★

وعرف الصبى أن الدور القادم دوره ..

لم يكن راغبًا فى مزيد من الحياة التى يطير فيها رأس أبيه ، لكن غريزة البقاء أمسكت بالزمام ، وجعلته يثب فى الماء ..

وسط الأمواج المتلاطمة ..

★ ★ ★

كان يجيد السباحة ..

لكنه احتاج لما هو أكثر من السباحة كى يصل إلى شاطئ (بنجلا) .. كان هناك التوفيق الإلهى والحظ وحقيقة أن أجله لم يحن بعد ..

لقد كتب لهذا الصبى أن يعيش ..

★ ★ ★

وحين فرغ من التقاط أشلاء روحه على ساحل الجزيرة ؛ كانوا يحيطون به .. رفع عينيه ليرى أجسادهم العملاقة المدهونة باللون الأسود ، ووجوههم التى امتزج فيها اللون الأسود بالأبيض

لتعطى إيحاء الجماجم ، والرءوس المنكمشة التى تتدلى من نطاق كل منهم ..

عرف الحقيقة على الفور : هؤلاء أكلة لحوم البشر ..

صاح رعبًا وفقد الوعى من جديد ..

★ ★ ★

لكنه لم يمت ..

لسبب ما احتفظ به رجال القبيلة ، وعلموه أسرارهم ..

إن أفراد قبيلة (توجاندا) هم رعب الجزيرة وكابوسها المقيم ..

يوجد هاهنا بعض الأقزام الشرسين كذلك ويسمونهم (باندار) فيما عدا ذلك لا تحوى الجزيرة سوى عدد هائل من الحيوانات البرية الشرسة غالبًا ..

إن شعار (توجاندا) هو الجمجمة .. يتفاءلون بها ويرسمونها على كل شىء ، وقد تعلم هو أن يحبَّ الجماجم ..

ويمرّ الزمان ، وتصب شلالات الرجولة مياهها فى عضلاته وفى جسده وفى فكره ، لكن فكرة الانتقام كانت تنمو وتزدهر كذلك ..

وعرف أنه سيكون الشبح الذى سيعود لينغص على (كابى سنج) حياته ، ويؤرقه ، ويحرمه لحظة سكينة واحدة ..

سيكون الشبح الغامض الذى يعرف أسرار (توجاندا) كلها ، ويعيش وسط الجماجم .. يهابه الجميع .. لكنه لا يعمل إلا لصالح الضعفاء والمقهورين ..

سيكون (الشبح) ..

الشبح (الذى يمشى ليلاً) كما سماه أقزام (الباندار) ..

★ ★ ★

١١ ـ الكل يريد الشىء ذاته ..

بعينين مغرورقتين من فرط التأثر ؛ غمغمت :

ـ « أنت هو ذلك الطفل ؟ »

ـ « أنا هو ذلك الطفل .. »

وتقلص وجهه المنحوت من صخر وراء القناع ، وغمغم :

ـ « الآن تعرفين حكايتى ، وتعرفين أننى لا أريد مزيدًا من المشاكل على هذه الجزيرة .. سترحلين فى الصباح مع الكابتن (هورتون) صديقى .. لقد سمع كثيرون بأمر هذا الكنز ؛ ولسوف يزدحم ساحلنا عما قريب بسفن القراصنة .. »

ـ « هل تعنى أن (كابى سنج) ما زال حيًا ؟ »

ـ « ويزداد حيوية ونشاطًا فى كل يوم .. إن اللقاء آتٍ لا محالة ، ولسوف تهتزّ الأفلاك لهول ما سيحدث .. »

★ ★ ★

فى الصباح قدّم لها (جوران) إفطارًا شهيًا من ذيول السحالى ، لكنها اعتذرت شاكرة لأنها لا تتناول طعام الإفطار أبدًا ..

اتجه (الشبح) لباب الكهف ، وأشار إلى الشرق ..

ـ « هو ذا طريقك يا (آنسة) .. لو اتبعته لوصلت إلى الشاطئ حيث ينتظر البحاران .. لقد جلب لهما الأقزام قاربًا صغيرًا ، وهما لم يعرفا بعد كيف ظهر هذا القارب .. يمكنك إذن اجتياز الأمواج بلا خوف ، فهما يعرفان كيف يعودان .. »

نظرت له باحثة عن كلمات شكر فلم تجد ..

بدا واضحًا أنه لا يرغب فى سماع شىء سوى خطواتها المبتعدة ..

هزّت رأسها واتجهت فى الطريق الذى وصفه لها ..

هنا تذكّرت شيئًا ..

استدارت صائحة :

ـ « وقرود (أورانج أوتان) ؟ من أين جاءت ؟ »

قال بصوته الصخرى الثابت :

ـ « إن حراس المعبد يحمونه من المدنسين .. لقد علّم الأقزام هذه القرود كيف تحمى المعبد ليلاً ونهارًا ..

لاحظى أن المعبد يقع فى الناحية الأخرى من الشلال ، وكل من يحاول عبور الشلال إذن معتد أثيم .. »

- « لكنى لم أقصد المعبد .. قصدت الكنز على الخارطة .. »

- « الـ (أورانج أوتان) لا يملك هذه القدرة على التمييز .. والآن وداعًا قبل أن يفوت الأوان .. »

ومن جديد راحت تجدّ السير عائدة ..

★ ★ ★

لا تدرى متى شعرت بوجودهم ..

فقط - من بين حاجز الأشجار - رأتهم .. كانوا ستة من الرجال يلتفون حول نار ، وشمت رائحة السمك المشوى العذبة ، فتقلصت أحشاؤها .. هى التى لم تذق طعامًا من دهر ، خاصة بعد تجربتها فى كهف السحالى إياه ..

تأملت وجوههم ، وسرعان ما عرفت البحّارين اللذين جاءت معهما إلى هذه الجزيرة .. لا خطر هنالك إذن .. هؤلاء من طاقم (المصيبة) بلا شك .. لهذا خطت نحوهم هاتفة :

- « مرحبًا يا رجال .. »

أجفلوا للحظة ، ثم رأوها فهدءوا .. وواصل أحدهم الشىّ .. بينما نهض الباقون وقد بشت وجوههم ..

سألها النحيل :

- « أين البروفسور ؟ »

- « مات .. »

- « كـ .. كيف ؟ »

- « سقط فى الشلال على الأرجح .. »

- « وأنتِ ؟ »

- « لم أمت على ما أظن .. »

عادوا يجلسون ، وانتزع البدين سمكة مشوية من اللهب ، ولوّح بها لها :

- « هلمى ! لا بد أنك تتضورين جوعًا .. »

- « أنت سريع البديهة .. »

تبًا .. هى لا تستطيع ابتلاع السمك المشوى دون أرز ودون سلاطة ؛ لكن الضرورات تبيح المحظورات ..

التهمت السمكة حتى الذيل ، وكانت شهية بحق ..

كان معصمها مكشوفًا للأعين ، وقد انحدر عنه كم ثوبها .. لم تلحظ العلامة العجيبة المنقوشة عليه ، والتى تمثل دائرة بها صليب من حروف (P) ..

لم تلحظها ، ولم تلحظ نظرات المحيطين بها إلى هذه العلامة ..

كانت هذه هى العلامة التى يميز بها (الشبح) المشمولين بحمايته ، ويرسمها بخاتمه الذى يضعه فى اليد اليسرى ، ولم تكن هى ولا من يحيطون بها يعرفون هذا .. وإلا لترددوا ألف مرة قبل أن .....

★ ★ ★

ـ « الخارطة ! أين الخارطة ؟ »

تردّد السؤال للمرة الرابعة من البحارة المحيطين بها .. كانوا يعرفون كل شىء إذن ، ولمحت إمارات الفظاظة والتوحش فى وجوههم .. لقد انتهى عهد المزاح والتهام السمك المشوى ، وبدا واضحًا أن هؤلاء السادة لن يدللوها دقيقة أخرى ..

مدّت يدها فى ثيابها لتخرج الأوراق إياها ، فلم تكن راغبة فى لعب دور الأبطال .. ولماذا تلعبه ؟ هذه الأوراق لا تشكل قيمة معنوية أو رمزًا متعلقًا بالكرامة .. لن تنقذ طفلاً من الجوع ولا مريضًا من الاحتضار .. خذوها إذن .. فمن يبالى بها ؟

فى جشع التفوا حول الأوراق يمحصونها ، وبالطبع

لم يفهموا حرفًا من الهراء الذى كتبه البروفسور المرحوم ..

ـ « ما معنى هذا ؟ »

تراجعت للوراء .. وبرغم سذاجتها فإنها لم تفقد البصيرة الصائبة .. هؤلاء القوم سيقتلونها بمجرّد أن يعرفوا كل شىء ..

إنها تملك ورقة واحدة ؛ هى فهمها لموضع الكنز ، وهذه الورقة ستمنحها الحماية اللازمة ، وتعطيها وقتًا لا بأس به إلى أن تجد طريقة للاتصال بـ (الشبح) ..

تراجعت للوراء أكثر ، وبصوت مرتجف صاحت :

ـ « هذا هو الضمان الوحيد لسلامتى .. »

تقدّم منها أحد البحارة .. وسيم نوعًا ، لكن له ذراعا قرد مشعرتان خلقتا للخنق ولا تصلحان لشىء آخر ..

قال لها من بين أسنانه ، وهو يفتح أنامله ويطويها :

ـ « ستتكلمين .. وإلا جرّبت مصير تلك الأسماك التى شويناها منذ قليل ! »

للوراء تراجعت أكثر ، وهتفت :

ـ « هذا من حقكم .. لكن الأسماك المشوية لا تتكلم .. »

ورفعت إصبعًا منذرًا :

- « إننى - فاعلموا - هشة جدًا ، لا أتحمل أى لون من التعذيب .. ومعنى هذا أنكم ستفقدون دليلكم الوحيد إذ يصاب بسكتة قلبية ! »

تبادلوا النظرات .. الحق أن هذه أقوى حجة قيلت فى هذا اليوم .. إن الفتاة لم تتكلم كالأبطال قائلة إن التعذيب لن يزحزحها ، بل قالت إنه سيقتلها ، وما كانوا ليجرءوا على التجربة ..

- « ليكن يا (آنصة) ! »

قالها البحار الذى يخنق .. وأردف :

- « لا تعذيب .. سترينا مكان الكنز بمنتهى الأدب والرصانة ، وبعدها أنت حرّة كالنوارس »

من تحاول خداعه يا أحمق ؟

★ ★ ★

كالعادة كانت المشكلة هى عبور الشلال ..

لكنهم - الأبالسة - كانوا يملكون أفكارًا لا بأس بها أبدًا .. والفكرة التى استعملوها قريبة من تلك التى عبر بها (الشبح) نطاق الأمواج حول الجزيرة مساء أمس ..

أطلقوا بندقية من نوع (القرابينة) ، وبدلاً من الرصاص كان هناك خطاف عملاق مربوط إلى حبل ..

وطار الخطاف عبر الهاوية ليتشبث بشىء ما .. شىء لا نعرف ما هو لكنه صلب ويتحمل الحبل جيدًا .. بعدها ثبتوا الطرف الآخر للحبل إلى شجرة غليظة ..

وسرعان ما راح أولهم يعبر الهاوية فوق المياه الثائرة ، متعلقًا بالحبل بأطرافه الأربعة ..

صاحت (عبير) فى هلع :

- « لكن .. القرود .. إنها ..... »

- « لا قرود إلا نحن يا (آنصة) .. فاصمتى .. »

وكانوا حذرين ، فراحوا ينتظرون حتى يصل من يعبر الهاوية إلى وجهته ، قبل أن يبدأ من بعده .. وكان من يعبر يقف ببندقيته على الجانب الآخر تحسبًا للمفاجآت ..

- « دورك يا (آنصة) ! »

صاحت فى ذعر :

- « أنا أعبر هذا الشلال ؟ وعلى حبل كما فى السيرك ؟ »

لكنهم لم يتركوا لها الخيار .. كانوا بحاجة إليها



برغم العض وركلاتها وخمشاتها تمكنوا من ربطها فى عقدة .. (أنشوطة) .. يمكن أن تنزلق على الحبل ..

على الجانب الآخر ، وكالعادة كانت ابتكاراتهم لاتنتهى .. برغم العض وركلاتها وخمشاتها تمكنوا من ربطها فى عقدة ـ أنشوطة ـ يمكن أن تنزلق على الحبل .. وهى تقنية تماثل (التلفريك) ولا تقل عنه إفزاعًا ..

استغرق الأمر نصف ساعة ، فى نهايته وجدت نفسها على الجانب الآخر من الشلال تلهث وتبكى ، وقد أدمت القيود معصميها وساقيها ..

تطوع البحار البدين ـ وكل البحارة اسمهم (جاك) ـ بفك قيودها ، وهو يعتذر لها دون رقة :

ـ « معذرة يا (آنسة) .. فلسنا ذوى خلق دمث ! »

ـ « أنتم حيوانات ! »

ـ « ربما .. لكننا نحاول أن نصير حيوانات ثرية .. »

كانوا الآن يقفون وسط طريق شبه ممهد بين أشجار الكافور .. هذا الطريق لم تمهده الطبيعة .. يمكنها أن تقسم على ذلك ..

قالت وهى تتفحص الخرائط :

ـ « مائتا خطوة للشمال من هنا .. »

كانوا بحارة ، وما كان تحديد الاتجاهات مشكلة

بالنسبة لهم .. إن البحار لا يحتاج إلى رؤية وعاء الدب الأكبر ليحدد جهة الشمال ، بل هو يعرف الشمال بالغريزة ، بالسليقة ..

وهكذا بدءوا يمشون ..

مائتا خطوة ! ما اتساع خطوة البحار الهولندى حقًا ؟ ربما كان ضئيل البنية قصير القامة ، وربما كان عملاقًا .. لكن الخرائط كلها تصرّ على استعمال الخطوات .. ولهذا قوة القانون كما يبدو ..

لكن لم يحتج الأمر لشك كثير .. لأن شجرة التين الهائلة التى كانت تسدّ الطريق ، قالت فى وضوح : الكنز هنا ..

* * *

كانت الشجرة ذات مظهر عجيب حقًا .. فالحقيقة هى أن بذور هذا النوع من الأشجار ينمو على الفروع العالية ، ثم تخرج جذور غليظة تتدلى لأسفل حتى تغرس نفسها فى التربة ، وتزداد كثافة حتى إن الشجرة تغدو محاطة بشبكة من خشب ..

وسرعان ما تختنق الشجرة الأم تحت الحصار وتموت .. وهكذا يغدو المنظر أقرب إلى منزل خشبى ضخم مجوف ..

لهذا يسميها الأهلون بـ (شجرة التين الخانقة) ..

إن هذه الشجرة قد خلقت كى تحتوى الكنز بداخلها ، وقد تلقى البحارة الرسالة سريعًا ، وراحوا يركضون نحوها وهم يتصايحون ..

جوارها كان صندوق خشبى مهترئ عتيق ..

تساءل النحيل عن كنهه ، فردّ الوسيم :

- « فى الغالب هو الصندوق الذى نقلوا الكنز فيه .. »

وتناول بلطة صغيرة راح يهشم بها بعض الجذور حتى اصطنع فتحة تسمح بدخول رجل .. وإلى أصغرهم حجمًا أشار :

- « (جاك) .. دورك ! »

انحنى (جاك) ودسّ جسده الدقيق فى الفتحة .. إن هى إلا بضع دقائق حتى برز رأسه من جديد ، وهتف :

- « يوجد شىء يا شباب ! صندوق مدفون على الأرجح »

- « هورررررراه ! »

تعالت صيحاتهم حماسة ، وراحوا يلكمون بعضهم

على سبيل التهنئة ، بل إن أحدهم بصق على الأرض فرحًا ..

هتفت (عبير) وقد أدركت أن دورها انتهى :

- « الآن هلا تفضل أحدكم بإعادتى للشاطئ ؟ »

قال البحار الوسيم بعد أن استعد لمواصلة الحفر :

- « صبرًا يا (آنصة) .. نحن لم نتأكد بعد .. »

هنا تدخل النحيل :

- « بل تأكدنا يا (جاك) ، ويمكننا أن نودّع (الآنصة) .. »

وقبل أن تقول (عبير) شيئًا ، هوت ضربة قوية على مؤخرة عنقها فانتهى الحاضر بالنسبة لها .. وغرق الضوء فى ظلام مكين ..

نظر البحار الوسيم إلى الجسد المكوّم على الأرض ، ثم إلى الصندوق الخشبى ..

وكانت العلاقة واضحة جدًا وقوية جدًا ..

دون أن ينظر مرة أخرى ، أمر الآخرين :

- « ضعوها فى الصندوق وادفنوها ! »

★ ★ ★

١٢ - مزح مع القراصنة ..

هكذا إذن دارت الأحداث لنعود إلى الموقف الذى بدأنا به قصتنا .. وأعتقد أننا جميعًا رأينا (عبير) / (بالمر) مدفونة فى الصندوق الخشبى تحت التراب ، ثم رأينا أن شخصًا كريمًا أنقذها فقط ليتضح أنه (كابى سنج) وعصابته من الأوغاد ، بمعونة كلبه (ساتان) طبعًا .. وعرفنا أنها مخيرة بين إرشاده إلى الكنز وبين الرقص مع (جو الخطاف) ..

يمكننا الآن أن نعود لقصتنا ..

★ ★ ★

كان خطافا (جو) الجميلان يلتمعان فى الشمس ، حين صاحت (عبير) فى هستيريا وهى تنكمش على نفسها :

- « أى كنز ؟ لقد وجده البحارة ! »

بصق (كابى سنج) معلنًا عن رفضه لإجابتها ، وغمغم :

- « البحارة ؟ لم يعد هناك بحارة .. »

ومرّر سبابته على حنجرته بإشارات ذات معنى ، وقال :

- « لم نفعل هذا للأسف .. لقد وجدناهم مقتولين جوار شجرة التين الخانقة ، وكانت على وجوههم علامة الجمجمة .. لم يكن شيء بجوارهم ولا بقربهم .. ولا علامات تدلّ على جرّ أو حفر .. إن هؤلاء لم يظفروا بشيء .. »

- « لكنهم وجدوا الكنز داخل الشجرة .. »

- « لا كنز داخل الشجرة .. ثمة صندوق لكنه مليء بالمستندات والأوراق .. التى أبلاها الدهر .. أنا لم أتعلم ولم أدخل مدرسة .. لكنى لا أعتقد أن هذا هو شكل الذهب ، فى القرن السابع عشر .. ولو قال لى أحد ذلك لاتهمته بالكذب .. »

رفعت يديها إلى وجهها ، وصاحت وهى توشك على البكاء :

- « هذا هو كل ما أعرفه عن الموضوع .. صدقنى ! »

هنا رأى الرجال جميعًا تلك العلامة على معصمها إذ انحسر الكمّ عنه .. وتراجعوا فى رهبة ..

هتف (جو الخطاف) :

- « هذه العلامة يا قبطان .. صليب من حروف (P) وسط دائرة .. إنها علامة (الشبح) .. »

تنهد القرصان فى ملل ، ولوّح بذراعه ليبعد هذا السخف :

- « ألن نكف عن هذا ؟ »

- « إنها الحقيقة يا قبطان .. هذه العلامة يصنعها بخاتم فى يده اليسرى ومعناها أنه يحمى هذه الفتاة المخبولة شخصيًا .. أما خاتم يده اليمنى فيرسم به علامة الجمجمة على وجه أعدائه المقضى عليهم .. لقد ترك علامة الموت على وجوه البحارة .. »

- « هراء ! »

- « أقترح أن نترك الفتاة وشأنها .. »

فى ابتسامة قرصانية لزجة تأملها (كابى سنج) ، وغمغم :

- « نحن لن نؤذيها .. إنها آخر من يعلم كل شيء .. ولو كانت هذه هى جزيرة (الشبح) حقًا فأنا (كابى سنج) .. وحيثما يمش (كابى سنج) يكن بيته .. »

ثم عاد ينظر إلى (عبير) وضحكة شيطان تتلاعب على شفتيه :

ـ « قولى لنا الآن ما نريد معرفته .. »

★ ★ ★

أنزل (الشبح) عدسة التلسكوب عن عينيه ، وداعب منخر الكلب الذئب وربّت على عنقه ليهدأ ..

إذن الفتاة حية .. لقد جاء هاهنا منذ ساعتين أو أقل ليجد البحّارة الستة منهمكين فى إهالة التراب فوق قبرها ..

كان يعرف أنهم من بحارة الكابتن (هورتون) .. لكن هذا لم يعد يهم بعد ما فعلوه أو ما ظن أنهم فعلوه ..

الحق إنه لم يتمالك نفسه لدى الغضب ، وغضبة (الشبح) ليست من الذكريات المحببة للنفس لمن يراها ..

كان الستة مشغولين حين وجدوا (الشبح) وذئبه يهبطان عليهم من عل ، فينطلق الرصاص وتتطاير المدىّ وتتلاقى الأنياب .. كانت مجزرة حقيقية لاداعى لها .. لكنها تمت ..

وفى النهاية وُضِعتْ علامة الجمجمة على الجثث .. لقد عاد لكهفه حزينًا نادمًا على أنه لم يصْحب الفتاة إلى أن يطمئن عليها ، لكن لم يمرّ أكثر من نصف ساعة حتى فوجئ بـ (جوران) يخبره بنبأ مذهل :

ـ « سفينة قراصنة دانية ! »

نهض كالمجنون ليرتدى ثياب (الشبح) كلها ، ويحشو مسدسه بالرصاص ثم يمتطى صهوة حصانه (هيرو) ينهب الأرض نحو الشاطئ ..

وبعدسة التلسكوب ، استطاع أن يرى القارب الذى يخترق الضباب والأمواج ببراعة غير عادية .. إن من يقود هذا القارب يعرف (بنجلا) جيدًا .. لا شك فى هذا ..

وتم كل شىء بسرعة .. النزول بالرجال إلى الشاطئ .. اقتفاء آثار الأقدام العديدة .. عبور الهاوية فوق الشلال باستعمال الحبل ذاته ، ثم البحث بدقة حتى العثور على الجثث الست ..

هنا راح كلبهم ينبح وينبش الأرض حيث كان القبر الحديث ..

ورأى الرجال يحفرون ويزيحون التراب ، وإذا

بالفتاة سالمة تمامًا فيما عدا الذعر الشديد إذ رأتهم ..

هؤلاء يعرفون كل شىء ، ويعلمون جيدًا ما يبحثون عنه ..

ومن جديد عاد يتأمل وجوههم وخاصة وجه من بدا كقائدهم ..

الوجه الفظ .. العصابة على العين .. الجسد المشعر كجسد قرد ..

وتوتر جسد (الشبح) كقط غاضب ..

(كابى سنج) !

★ ★ ★

احتشد أقزام (الباندار) حول (الشبح) يعدّون حرابهم وأقواس سهامهم .. قال لهم وهو يتأكد من حشو مسدسه :

ـ « الآن أريد القرود معى ! »

قال (جوران) مرتبكًا :

ـ « هذه القرود لا يؤمن جانبها .. ولقد قتلت أنت واحدًا منها أمس .. »

ـ « لكنها تثير الرهبة يا (جوران) تثيرها .. وهذا ما أريده .. »

واتجه قزم وهو يرتجف إلى القفص الخشبى العملاق ، فعالج الجنزير الحديدى الملتف حول بابه ..

كلينج كلانج !

قال (الشبح) وهو يحكم تثبيت قناعه :

ـ « كما اتفقنا .. ستمرحون كما تريدون لكن الرجل ذا العصابة على عينه ليس ضمن الصفقة .. إنه لى وحدى .. »

وفى خلفية المشهد يتعالى صوت القردة الغاضبة .. قردة قادرة على انتزاع أطراف من تهاجمه دون مناقشة ..

★ ★ ★

ـ « انظروا ! »

ـ « انظروا ! »

تصايح القراصنة المحيطون بـ (كابى سنج) وهم ينظرون إلى الأفق .. كان هناك حصان أبيض شامخ ، وعلى ظهره رجل مقنع له وجه جمجمة ، وكان يضع يديه فى خاصرته والتحدى على سحنته ..

ـ « (الشبح) الذى يمشى ليلاً ! »

اغتاظ (كابى سنج) للأمر .. فأطلق ذراع (عبير) وصاح فى غلّ :

ـ « يا حمقى ! إنه رجل مثلى ومثلكم ، ويموت بنفس الطريقة ! هلموا الحقوا به .. »

وانتزع غدارته من حزامه ، وأطلق رصاصة باتجاه راكب الحصان ..

فى اللحظة التالية توارى الحصان براكبه ، وانفتحت أبواب الجحيم .. إن أقزام (الباندار) شرسون للغاية ولا يمزحون .. وسرعان ما انطلقت الحراب والسهام نحو القراصنة المساكين ..

أما (ديفل) فانساب بين أقدامهم ينشب أنيابه فى تعساء الحظ .. وأنياب (ديفل) هى أنياب ذئب كما تعلمون ..

أما التأثير النفسى الأعظم فكان لثلاثة قرود عملاقة من نوع (أورانج أوتان) ، هوت من فوق الأشجار وراحت تمزق الرجال تمزيقًا ..

أطلق بعض الرجال رصاصاتهم ، ولوّح بعضهم بالسيوف لكن المعركة كانت محسومة من اللحظة الأولى ..

كان الموج يتصادم حول (عبير) المذهولة ، لكنه لا يصدمها أبدًا .. كل شىء يبدأ وينتهى عند حدود دائرة لا تتجاوز مترًا من حولها ..

فقط حين بدأ تبادل الطلقات ؛ صاح بها (جوران) :

ـ « تمرغى فى التراب يا (آنسة) ! توارى فى مكان آمن ! إن الطلقات لا تختار هدفها ! »

★ ★ ★

أما (كابى سنج) فكان يعرف هدفه ..

الفرار أولاً بعيدًا عن هذا السيرك الملىء بالقردة والأقزام ، ثم الانتقام ثانيًا ممن أفقده خير رجاله ..

حنى قامته وراح يركض فى عزم .. فى غلّ .. نحو الاتجاه الذى توارى فيه (الشبح) .. لولا أن العيون الحاقدة لا تقذف دمًا ؛ لأقسمنا أن الدم يسيل من عينيه الحاقدتين ..

كان هناك حاجز من الأشجار .. لابد أن راكب الحصان وراءه بشكل ما .. ولكن أين ؟

فى اللحظة التالية انهالت لكمة على فكه .. لكمة عنيدة باليد اليمنى .. وكان فى اليد خاتم معدنى أدمى ذقنه ..

لو استطاع (كابى سنج) أن يرى وجهه ؛ لرأى علامة الجمجمة على فكه ، ولعرف أنه صار (مُعلمًا) بعلامة الموت ..

كان (الشبح) يركض على حصانه الأبيض مبتعدًا ..

استل (كابى سنج) سيفه البتار وأزمع أن يمارس علم التشريح قليلا .. فقط لو ينتظر هذا الأحمق دقيقتين ..

وفى اللحظة التالية تشبث (الشبح) بغصن شجرة متدل - على طريقة (طرزان) - ووثب من فوق ظهر حصانه ، ليعبر فرجة خالية من الأشجار فيهبط على فرع شجرة بعيد ..

- « الويل لك ! »

- « بل الويل لك أنت ! »

قالها (كابى سنج) وهو يرغى ويزبد ، وراح يركض صوب خصمه الذى وقف ينتظره كأن الأمر لا يعنيه ..

مشت قدما القرصان فوق الأرض ، وهنا .....

هنا فهم السرّ الذى جعل (الشبح) يعبر هذه المساحة وثبًا ..

لقد كانت الأرض مغطاة بالدبق الذى يجعل المشى مستحيلاً ..

وسُدى راح يركل ويحاول تحريك قدميه .. لكنهما كانتا تزدادان تورطًا والتصاقًا ..



كان (الشبح) يركض على حصانه الأبيض مبتعداً ..

استل (كابى سنج) سيفه البتار وأزمع أن يمارس علم التشريح قليلاً ..

وابتسم (الشبح) فى تشف وهو يرمق المشهد :

ـ « إنها حيلة قديمة لصيد النمور يا (كابى سنج) ، غير أننا قادرون على اصطياد الخنازير البرية بها كذلك !

ثم ـ برشاقة ـ وثب من فوق غصن الشجرة ليقف على مسافة آمنة من الأرض اللزجة ..

ـ « لقد أعطتنى الآنسة (بالمر) ـ دون قصد منها ـ بعض الأفكار الصالحة ! ما كان علىّ سوى استدراجك هاهنا .. »

صاح (كابى سنج) فى حنق وهو يحاول التملص :

ـ « حسن .. لقد ظفرت بى فتعال حرِّرنى .. »

ـ « لن أفعل ! ولماذا أفعل ؟ إنه الموت البطىء المعذِّب الذى طالما تمنيته لك .. ستموت هنا ببطء ، كذبابة فى خيوط عنكبوت هجر بيته .. ولن يمدّ لك أحد يد العون أبدًا .. »

وحكّ رأسه مفكرًا وأردف :

ـ « ستموت بعد يوم ؟ ربما ثلاثة أيام ؟ ربما أسبوع ؟ اللّٰه وحده يعلم .. »

من بين أسنانه أطلق (كابى سنج) سبّة ، وراح يواصل محاولاته عديمة الجدوى :

ـ « أنت .. أنت .. لماذا تكرهنى إلى هذا الحدّ ؟ يمكنك قتلى الآن وإنهاء هذا الضجيج .. »

ابتسم (الشبح) وهو يدور حول الفرجة مبتعدًا :

ـ « لماذا أكرهك ؟ هذه قصة يطول شرحها يا (سنج) ! »

★ ★ ★

كانت المجزرة قد انتهت تمامًا حين خرج (الشبح) إلى رجاله الأقزام .. الأرض مغطاة بجثث دامية صارخة مولولة معذبة .. وقد مات قزمان وقرد بطلقات الرصاص ..

ركضت (عبير) نحو (الشبح) مولولة :

ـ « لقد أنقذتنى .. كان علىّ أن أفهم هذا ! »

اتخذ وضع الاحتباء ليداعب عنق ذئبه العزيز الذى أرهقه الافتراس ، وقال لها :

ـ « تركت (كابى سنج) فى ورطة بلا حلّ .. ولسوف أجىء ليلاً كى أستمتع برؤية عذابه قبل أن أنام .. لقد ساد العدل الكون وانتهت الكوابيس .. »

راحت تنفض الغبار عن ثيابها ، وسألته :

- « والكنز ؟ »

- « في كهف الجمجمة منذ زمن سحيق .. أنا وجدته وأخذته هناك عندما جئت الجزيرة .. »

- « ولماذا تحتفظ بكنز ؟ ظننتك لا تبالي بهذه العروض الزائلة »

- « كي لا يجده أحد آخر .. هذا سبب كاف فيما أظن .. إنه ذهب ملوّث ، ولسوف يجده أحدهم لو ظلّ في مكانه .. الذهب الملوّث يطفو على السطح دومًا .. »

هنا صدرت ضجة من الأقزام ، ولوحوا برماحهم منذرين ..

كان هناك غريب يشق طريقه في تؤدة عبر صفوفهم ، غير مبال بتوترهم كأنما كل هذا هراء لا يهمه ..

وسمعت (عبير) صوت (التكتكة) المميز ..

- « حسن يا فتاة .. لقد انتهت قصتك هاهنا .. »

- « ليكن يا (مرشد) .. ولكن دعني أودّع مخلّصي .. »

ونظرت إلى (الشبح) في امتنان ، وغمغمت :

- « شكرًا على كل شيء .. »

شيء من رقة شاع في وجهه الصخري ، وقال :

- « عندما تعودين يا مس (بالمر) ؛ سنتزوج .. وسيكون لنا طفل جميل يدعى (كيت) ! »

- « أحقًا ؟ إذن أنا جزء مهم في مغامراتك ؟ »

- « بالتأكيد .. لقد زوجنا (لي فالك) في السبعينات من هذا القرن .. ولربما كان لنا لقاء آخر .. »

وابتسم من جديد ، واستدار يأمر الأقزام بالرحيل ..

قال (المرشد) لـ (عبير) :

- « هل كانت مغامرة طيبة ؟ »

- « لا بأس بها .. لكنها تذكرني بمغامرتي مع (طرزان) .. »

- « (لي فالك) لم ينكر لحظة تأثره بقصص (إدجار رايس بوروز) خالق (طرزان) .. إن (الشبح) مزيج من (طرزان) و(باتمان) معًا .. »

وتنهّد وهو يثني ذراعه لتتأبطه :

- « هلمي بنا الآن .. وليساعدنا اللّه على اجتياز حاجز الضباب والأمواج المحيطين بهذه الجزيرة .. »

- « هيّا بنا »

★ ★ ★

وفى القصة القادمة تلقى (عبير) شذرات من عالم (ديزنى) الرائع .. العم (بيكسو) و (ميكى ماوس) والبطة الثرثارة (دونالد داك) التى نسميها نحن (بطوط) ..

وهناك تعرف أن الرعب قد يوجد حتى فى عالم يسوده البط والفئران الذكية ..

(تمت بحمد الله)

فانتازيا

مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

روايات مصرية للجيب

١١٩٩

شبح وشيطان ..!

جزيرة غامضة لم ترسمها الخرائط .. جماجم مشتعلة .. كلب كان ذئبًا .. مصيدة نمور .. أقزام .. كنز مطمور .. عالم مخبول .. شخصية مهيبة تجمع مابين شخصيتى (طرزان) و (باتمان) .. جسر مُعلَق سرعان مايتمزق .. صحفية شابة فى ورطة .. قراصنة .. ترى هل نسيت شيئًا ؟!



د. احمد خالد توفيق

قرش جنيه

الثمن فى مـ
وما يعادله بالدو
فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٤

